وقد أمطرت سعادة

اسم الكتاب: وقد أمطرت سعادة

تأليف: زينب عبد الهادى

مراجعة لغوية : حسام مصطفى ابراهيم

تصميم الغلاف : عبد الرحمن الصواف

رقم الإيداع: 2014\7898

الترقيم الدولي: 8- 58 -6376-977 - 978

***

إشراف عام:

محمد جميل صبري

نيفين التهامي

© جميعُ الحقوق محفوظةٌ، وأيُ اقتباس أو إعادةِ طبع أو نشر في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعية أو بصريةٍ دون إذن كتابي من المؤلف؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

داركيان للنشروالتوزيع – 22 ش الشهيد الحي بجوار مترو أم المصريين – الهرم

محمول: 01005248794 – 01001872290 – أرضي: 0235688678

www.kayanpublishing.com – info@kayanpublishing.com

وقد أمطرت سعادة

زينب عبد الهادى

كلّ ما يغفو بالدّاخل لـ:

قلب أمي الطاهر..

من سكنوا روحي..

والمطر الذي طالما حاول إبهاجي!

باسم الخالق....

ذات مطر دعوت الله بصدق

فأهداني حلمًا جميلًا....

ما زال ينمو بداخلي حتى الآن!

ولوج

سافرت وتنقلت كثيرًا، وعلى الرغم من ذلك لم يتعدّ سفري دولتين على الأكثر، كان ذلك لظروف معيشية بحتة، ونتج عن ذلك طبعًا أن تبنّاني وطن آخر، هذا الوطن جسّد لي جميع معاني الاستقرار!

ولدت فيه أحلامي ونضجت

وتربت فيه أفراحي وتكاثرت.

وأخيرًا غادرته مجبرة، وغادرني جزء كبير مني وبقي هناك!

أؤمن كثيرًا أنّ كل ما في الحياة يحمل معاني أخرى أكثر عمقًا غير التي تبدو للجميع!

وأؤمن أيضا.. أنني أستطيع التواصل مع كل ما يحيط بي، بشرًا كان أم جمادا أم نباتا!

أعشق وحدتي كثيرًا، وأعشق الصمت أكثر، أحب دائمًا أن أتأمّل

أعـماق الأشـياء وأعـين البشر.

أمـا عـن أصدقـائي، فأملـك أصدقـاء دراسـة رائعـين، أحبهـم وأعتقـد أننـي لـن أجـد رفقـة تُماثلهـم أبـدًا.

جبـت الكـون بكتابـاتي، حلمـت بالكثـير وبنيـت قصـورًا وعـوالم مـن السـحاب الأبيـض، بعضهـم يعتقـد أننـي حالمـة وبعضهـم يـراني مـلاكا، والآخـرون قـد يروننـي أقـل مـن أن أكـون بـشرًا.

لوني المفضل (الرماديّ) و(الزهريّ) سابقًا!

ربمـا لأن شـخصيتي خضعـت لتأثـيرات نفسـيّة معيّنـة، حولّتهـا مـن متفائلـة مبتسـمة إلى مزاجيـة حزينـة!

... أخـيرًا أعشـق فـيروز، والليـل، والبحـر برائحتـه المالحـة المثـيرة للبـكاء!

وأخـيرًا أيضًـا... أعشـق جـدًا الانـزواء وحيـدة، بعيـدًا عـن ضجيـج العـالم وتفاهتـه التـي لا حـدود لهـا.

لا أتألم، إنما فقط روحي تحاول اعتياد الحياة.. ولا تفلح!

اختناق

نحتــاج أحيانًــا للبــكاء بهســتيريا، نحتــاج لغرفــة مظلمــة بــاردة نختــلي بأنفســنا فيهــا ونــذرف الدمــوع بــلا توقــف! وأنــا أحتــاج لهــذا باســتمرار، مــن قــال إن الحيــاة ورديّــة اللــون تنتــشر الزهــور في أرجائهــا وتحلّــق العصافــير في ســماواتها للأبــد؟ في الفــترة الأخــيرة زادت الضغــوط عــلى جهــازي العصبــي، وســاءت حالتــي النفســية لدرجــة أننــي أشــك بــأني مصابــة باكتئــاب، الغريــب في الأمــر أننــي لا أشــعر برغبــة في التخلــص مــن هــذه الحالــة، بــل أشــعر بالاســتمتاع!

كل مــا يحيــط بي مزعــج، أصــوات الســيارات في الشــوارع، ثرثــرة الجــيران مــن نوافــذ العمائــر، أحاديــث البــشر التــي لا تنتهــي أبــدًا في كل مــكان، أشــعر أحيانًــا برغبــة ملحــة في الــصراخ مــن أعمــق أعماقــي، اصمتــوووا.....! لكنهــم لــن يصمتــوا.

أعــين البــشر أسرار لا تنتهــي، وعينــاي سر كبــير.. ينتهــي جــزء منــه كل يــوم!

أعين

لاحظت يومًا أنني مريضة بمراقبة أعين البشر، أحبّ تمييز ألوانهم والتفتيش عما تحويه من أسرار! وقعت عيناي يومًا على عينين خضراوين بمسحة رمادية، كانتا تحملان حزنًا غريبًا مع القليل من الخبث وبعض الجنون، تعلقت بهما لفترة، كنت فقط أنظر إليهما دون مبرّر، لم أكن أهتم أبدًا لصاحبهما، لكني شفيت بعد ذلك، فأصبحا يُثيران بكائي كلما صادفتهما. صادفت أيضًا عينين سوداوين خمّنت أنهما تحملان بعض الحنان والذكاء، والكثير من شيء لم أستطع الوصول إليه أبدًا. أما تلك العينان العسليتان، اللتان تحملان حنان العالم ودفأه، فلا أستطيع نسيانهما ما حييت، إن تأمّلي لهما مرتبط بحياتي كلها، إنهما عينا (أمي)، وكم أعشق هاتين العسليتين. أعين القطط أيضا تثير شغفي، ولطالما تمنيت أن أمتلك قطة فقط من أجل عينيها!

أكنـــت يومًـا جــزءًا مــن كل؟ أم أن الــكل كان جــزءًا منـــي..ولم يعــد؟

بلا أحلام

أشعر دائمًا أنني لا أهتم لهذا العالم، لم أخلق لهذا الكون! في الواقع أنا لا أنتمي لأي وطن نراه على خريطة العالم، لا أشعر بالحنين والدفء اللذين يبحث عنهما كل مغترب عن وطنه، لست أفتقد الوطنية أو الانتماء، إنما أنا حقا لا أملك هويّة وطن! لم تكن أحلامي كبيرة جدًا لدرجة يصعب الوصول إليها، ولم تكن صغيرة جدًا لدرجة تثير في نفوس كل من حولي الرغبة في سحقها! ومع ذلك تبخّرت ولم أعد أعرف، أحقا كنت أمتلك أحلامًا، أم أنني كنت أتوهّم! قلت يوما إن الأحلام ليست سوى ثقتنا العمياء في المستحيل، واكتشفت بعدها أنني لا أثق في المستحيل، إذن فأنا فعلا لم أمتلك يومًا أحلاما قط!

أعشق الباليه.. منذ صغري!

باليه

تنساب بنعومة بين رفيقاتها، تتقافز برشاقة وخفّة كفراشة عشقت الزهور، تنتقل من زهرة لأخرى بحثًا عن رحيق ألذّ، تبهر الحاضرين برقصاتها العفوية، وبلون ثيابها البيضاء، فتبدو كملاك يتجوّل بين أرواح البشر، بحذائها الخفيف تتطاير على المسرح، تتمايل مع ألحان سيمفونية ساحرة، وكأنها حلم يبحث عن النور، تعانق يداها عتبات الأفق، وتعانق ابتسامتها وجوه الحاضرين المنبهرة، يحرك المايسترو عصاه السحرية ليشير للعازفين بإنهاء المقطوعة، فتخضع جميع الآلات للأمر فورًا، ينتهي العرض بتغريدات موسيقية هادئة تنبعث من أنامل العازفين، وبانحناءة رقيقة منها، تُجبرهم على الوقوف نصف ساعة، ترتل أياديهم تصفيقات متتابعة لا تنتهي!

لست خارج الكون، إنما الكون خارجي تمامًا!

خارج العالم

حدث يومًا أن تعلّقت بمكان ما تعلّق الجنين برحم أمه، كان شاطئًا يسوده هدوء غريب، موجه كان يسحر قلبي، صباحاته كانت مختلفة بالنسبة لي، كنت أستيقظ مبكرًا فقط لأمتّع عيني بشروق الشمس على صفحته النقية المتمرّدة! كنت أعشق السهر جواره، وأعشق معانقة ثيابي لهوائه البارد المثير للحزن، مكوثك ليوم واحد فيه يجعلك توقن بأن الكون كله يمكن اختصاره في هذا المكان، فماذا لو أقمت أسبوعًا بأيامه السبعة؟ أسبوعًا بصباحاته ومساءاته، بشروقه وغروبه، ماذا لو أقمت أسبوعًا في مكان خارج حدود العالم، ماذا لو أقمت أسبوعًا خارج نطاق البشر!

قبلة لروحك.. أمي!

ماما حامل!

ذات يـوم تمنّيـت شـقيقة، كنـت في التاسـعة مـن العمـر، حـين فاجأتنـي بطـن (أمـي) بتضخّمهـا! لم تكفنـي فرحـة الكـون بـأسره، ولم يكفنـي حديـث (أمـي) عـن الجنـين الصغـير الـذي ينمـو في دفء روحهـا قبـل دفء أحشـائها، كنـت أعـدّ الأيـام، يومًـا يومًـا، حتـى يـأتي يـوم خروجـه للحيـاة، فأحمـل جسـده الصغـير بـين ذراعـي، وأقبّـل بشرتـه الناعمـة، وأستنشـق رائحتـه المليئـة بالطهـر والملائكيـة. تمنّيـت كثـيرًا أن يكـون الجنـين أنثـى، أشـاركها لحظـات عمـري، وتفاصيـل التفاصيـل عنّـي، بالإضافـة إلى غرفتـي وأغـراضي ودُمـاي الصغـيرة، لكـن.. لم تشـأ الأقـدار أن تورّطنـي في شـقيقة تقاسـمني خصوصيتـي وأسراري، وتبـوح بهـا للآخريـن، فجـاء المولود ذكـرًا، وأحببتـه كونـه مـا زال ضيفًـا صغـيرًا عـلى هـذه الحيـاة، وأحببتـه أكـثر كونـه ليـس أنثـى!

فيروز... صوتها خلاصة طهر المطر!

نطرت مواعيد الأرض

(إدش كان في نـاس ع المفـرق تنتظـر نـاس.. وتشـتي الـدني ويحملـوا شمسـية.. وأنـا بإيـام الصحـو مـا حـدا نطـرني)، أعشـق صوتهـا المخمـلي الناعـم، يشـعرني بصفـاء الكـون، برقـة الأشـياء، بـدفء الوطـن، بـأرواح الغائبـين عنـا، تلـك السـاحرة فـيروز، دائمًـا مـا تطـرق قلبـي بإحساسـها النـدي، وبغنائهـا الـذي يمنـح اللحظـة رونقًـا وجـمالًا أخـاذًا لا حـدود لـه، أشـعر دائمًـا أنهـا تصفنـي بغنائها في كل حـالاتي، خاصـةً حـين أكـون متعكـرة المـزاج، مـا إن أتنـاول جرعـة مـن سـحرها حتـى تعـود أجـزائي لاتزانهـا، فأبـاشر يومـي المعتـاد ببسـاطة صوتهـا الجميـل. ترتبـط تلـك المـرأة بصباحـاتي كثـيرًا، وبقهـوتي التـي أفضّلهـا مُـرّة، إلا مـن دندناتهـا الهادئـة، أسـكب القليـل مـن إيقاعـات أغانيهـا في فنجـاني.. أرشـف رشـفة.. أبتسـم، وأدنـدن: (يـاي يـاي يـاي يـا سـهر الليـالي يـاي يـاي يـاي يـا حلـوة عـلى بـالي.. غنـي آآه غنـي آآه.. غنـي عـلى الطرقـاات).

من قال إنني حية؟ أنا فقط أتنفّس!

استبداد

تتكاثـر بداخـلي الخيبـات، وتـكاد روحـي تختنـق مـن شـدة الألم، لم أعـد أطيـق سـماع ثرثرتهـم التـي تصيـب عقـلي بصـداع أبـدي، وأوامرهـم المسـتبدّة بحريتـي.. وبخصوصيتـي، وبي! تغتالنـي رغبـة جامحـة في الـصراخ، في البـكاء، في تدمـير الكـون بـأسره، تتزاحـم بداخـلي إحباطـات عظيمـة، وعقـد صغـيرة تـزداد حجـمًا مـع مـرور الوقـت، حتـى تصبـح كالكابـوس يطـاردني حتـى في وحـدتي، تعتصرني هـذه الحيـاة بـكل قسـوة وتحـدٍ! وكأنهـا تعتـبرني خطًـا زائـدًا يشـوّه لوحـة الكـون الجميلـة! أتـراني بلهـاء إلى هـذا الحـد لدرجـة أننـي لم ألحـظ ذاك الصخـب الـذي ينبعـث مـن أعماقـي دائمًـا ينصحنـي بالرحيل..وأنـا لا أفعـل؟

ليتك لم تكن!

جرعة أمل

لست جـزءًا مـن ذاتي لأذكـرك بتلـك الكـثرة، ولسـت حلـمًا سـأبذل جهـدي في الركـض وراءه لأراه يتحقـق بـين يـدي، لسـت ضمـن مشروعـاتي، أرتبـك في جـداول زمنيـة لتتحقـق خلالهـا، وإن لم يحـدث يتعكّـر مزاجـي وأغضـب، لسـت ذلـك أبـدًا.. وإنما كنـت مجـرد ابتسـامة تنـير لي صباحـي كل يـوم، وضحكـة جميلـة ترافقهـا سـلامات معطّـرة بروحـك تُؤنسـني في طريقـي إلى منـزلي، ربمـا ظننتنـي ضيفًـا ثقيـلًا عـلى عالمـك الصغـير، أتـردّد عليـه بأعـذار واهيـة، فقـط لأجـبرك عـلى الاهتـمام بي! لكـن أقسـم لـك.. أنني لم أكـن كذلـك، ولم أرغـب مـن تـردّدي المسـتمر عليـك سـوى في بضـع جرعـات مـن الأمـل، أتناولهـا يوميًـا، علّهـا تخفـف بعـض مـا يعتـصرني مـن ألم!

ابحث عني بين القاف والطاء.. فإن لم تجدني، فحتمًا ستجدني أسكن في الراء!

ربيع وطن

كنـت أترقّـب عطلـة منتصـف العـام كي أزور وطنـي في رحلـة قصيرة مدتها أسبوعان عـلى الأكـثر، انتهـت الاختبـارات وأرسـلت لي تذكـرة سـفر معطـرة برائحـة تلـك الأراضي الهادئـة، التـي لطالما عشـقت ترابها حـد الإدمـان! اسـتقللت الطائـرة، عـبرت السـماوات والغيـمات.. وعـبرت أمـام عينـيّ ذكريـاتي وأحلامـي، كنـت طفلـةً حـين احتضننـي ذاك الوطـن، أهـداني زهـورًا نبتـت إلى جانـب زهـرة عمـري وتفتّحـت عـلى أعتـاب المراهقـة، فبـادرت بقطفهـا، وبـادرت هـي بتلويـن حيـاتي، وتعطـير صباحـاتي، حتـى ودّعتنـي بقطـرات نـدى تناثـرت حزنًـا عـلى وريقاتهـا قبيـل رحيـلي... وهـا أنـا ذا أعـود لأزرع تلـك الزهـور مـن جديـد في قلـب وطنـي، ويـزرع هـو أحلامًـا جديـدة بداخـلي، تكـبر بعيـدًا عنـه وتتحقـق في ربيعـه!

نقاؤك يشعرني كم أنّ روحي ملوّثة!

نقيٌّ هو!

جميـل أن تلتقـي روحًـا بيضـاء تشعّ نـورًا، ينـير أرجـاء الكـون، كان شـخصًا فريـدًا، كان جميـلًا بـكل معـاني الجـمال، كنـت قـد أصبـت بإحبـاط مـؤلم مـن كل أصنـاف البـشر، فلـم أتوقـع أن ألتقـي بـشرًا بـكل ذاك النقـاء، كان كزهـرة في ريعـان نموهـا، كشـمس تنـير الكون بابتسـامات مجانيـة! فقـط لتسـعد قلـوب البـشر، كان طفـلًا.. يعشـق اللهـو عـلى عتبـات الحـزن، يلهـو ويضحـك.. ويُخـرج لسـانه للحيـاة بسـخرية وكأنـه يقـول: سأعيشـك مهـما أتعبتنـي، وسـأبحث عـن مواطـن الفـرح فيـك، وإن لم أجـد.. فسـأضطر لزراعتـه في أرجاء الأرض، لينمـو ويثمـر ابتسـامات تتفتـح عـلى شـفاه العـالم، أتلـذذ كثـيرًا بتـذوق تفـاؤل تلـك الـروح وسـأظل أجاورهـا.. علّنـي أمتـص بعضـاً مـن بياضهـا وأعيـش!

لذة الألم، تشبع إدماني!

نصفي

أخبروني كيف تكون السعادة؟ كيف يبدو الأمل؟.. وما معنى الحياة؟ يراودني ألم شديد يسري في نصفي الأيمن، يغتال يدي وقدمي، فيصيبني شلل مؤقت يستمر لثوان ثم يتلاشى.. لكنّ الألم يستمر! يغتالني هذا الوجع فترةً بعد أخرى، وكأنه ينذرني بشيء ما، أتراني أسرف في الضغط على جهازي العصبي؟ أم أنه مرض عضوي لا أعرف له مسمى! لم أتجرأ على الذهاب إلى الطبيب، أو ربما لا أشعر برغبة في التخلص من لذة هذا الألم، حياتي مليئة بأوجاع أكبر بكثير، أحتملها كلها، وتدمرني من الداخل تدريجيًا، وأراني أحتضر في صمت، بعيدًا عن مرأى العالم.. ولا أبوح بذلك لأحد، فما الذي يدفعني للذهاب إلى الطبيب لمجرد شعوري بألم سخيف احتل نصفي مؤخرًا!

كن حلمي الذي لا يتحقق أبدًا!

كن

أرسـمك في خيـالي واقعًـا يؤنـس وحـدتي، يبهـج قلبـي، ويعتنـي بروحـي حتـى تكـبر وتشـيخ! لسـت موجـودًا في هـذا العـالم الواسـع، وربمـا لم تخلـق عـلى وجـه الأرض، ولكنّـي أؤمـن بوجـودك كثـيرًا، وأؤمـن بأننـا سـنلتقي يومًـا، وإن لم يحـدث، فسـأظل أرسـمك كثيرًا.. ولـن أمـلّ، جـزء مفقـود بداخـلي أنـت، أفتقـده كثـيرًا، أشـعر دائمًـا أن أحلامـي مهـما أسـعدتني وتحققـت ينقصهـا شيء مـا لا أعرفـه، ربمـا يكـون أنـت وربمـا يكـون أنـت أيضًـا! أبعـث لـك رسـائلي التـي أعلـم أنهـا لا تصلـك أبـدًا ولـن تصـل، أقـول لـك فيهـا: عزيـزي... كـن لي شمسـاً لا تغـرب أبـدًا، وبحـرًا لا يَمْلَـح أبـدًا، وطفـلًا لا يكـبر أبـدًا، وحبًـا لا ينتهـي أبـدًا، وضحكـة لا تمحـى أبـدًا، وليـلًا لا ينقـضي أبـدًا، ولوحـة لا ترسـم أبـدًا، وشـخصًا لا يخلـق أبـدًا!

تكاثر أيها الليل.. انتشر حولي ولا تنفد

ليل

يغرينـــي هــدوء الليــل وســواده الحالــك إلا مــن مصابيــح مضــاءة عــلى أرصفــة الشــوارع، تنــير للســائرين.. وللتائهــين ربمــا! يجــذب روحــي بســحره.. بعيــدًا عــن صخــب الســيارات، ومزامــير الإســعاف والشرطــة، يأخــذني إلى عــوالم أخــرى فــوق مســتوى المجــرّة! يرســم لي وجوهــا أجهلهــا.. وأماكــن لم أعتدهــا.. وأوطانــاً أكــثر جــمالًا مــن تلــك التــي تمــلأ الأرض بإفــراط موجــع، يشــاركني متعتــي الأبديــة في الســهر وحيــدة، أخفــي جســدي في فــراشي الدافــئ، وأطلــق لروحــي العنــان لتطــير، أفتــح لهــا نوافــذ غرفتــي، أقبّلهــا.. وأتركهــا تحلــق في ســماوات الليــل الحالكــة، تجــوب الكــون مــن بعيــد، تــرى جميــع البــشر، تطّلــع عــلى أسرارهــم، تغلفهــا في صناديــق رماديــة، كالغيــوم المنــذرة بالمطــر، وتلقــي بهــا في أعماقــي... فــلا يصــل إليهــا أحــد ســواي!

إلى كلّ من ودعتهم: والخالق..أشتاق إليكم رغمًا عني!

وداعات

قرأت يومًا أن عمرنا ما هو إلا مجموعة وداعات صغيرة! وحين تأمّلت عمري اكتشفت كم هي صحيحة تلك العبارة، فبمقدار الوجوه التي قابلتها يسكن ضعفها وأكثر في موانئ الرحيل من حياتي، وكأنني ألتقي بهم لأودّعهم، وأودّعهم لألتقي غيرهم، وهكذا أستمر في الدوران في حلقة مفرغة إلا من وداعات صغيرة تتكاثر مع تقدم العمر، وربما تشيخ فتتضاعف أكثر وأكثر كالشيب حين يغزو الرؤوس فلا يمكن التخلص منه أو إيقاف تكاثره، فما فائدة الحياة إذن عندما نودّع من نلتقي بهم، بعد أن يكونوا قد أصبحوا جزءًا من ذواتنا، وربما من أنفاسنا، نتجرعهم كل يوم بإدمان لا علاج له.

عزيزتي.. كوني أنا واكبري معي!

صبّارتي

ابتعت اليوم نبتة صبار جميلة، تشع نضارةً وخضارًا، تحيط جسدها الصغير بشوك أصفر مؤلم! تحمي به نفسها وزهراتها الصغيرة النابتة فوق رأسها، تحاول الأخيرة الخروج للحياة بينما والدتها تحميها بأشواكها، فتمنع أيدي العابثين من الاقتراب من صغارها.. وربما تحاول منع الحياة من العبث بهم أو محاولة قتلهم أيضًا! إلا أنني أحببت كثيرًا ملمسها على أصابعي وكفيّ، احترت في تسميتها، فلم أجد اسمًا يليق بها غير (صبّارة)، لا أعلم سبب شرائي لها، فقط فاجأتني رغبة جامحة في اقتنائها، ربما لأنها تشبهني في صبرها ووحدتها التي تقضيها في الصحراء، تجاهد كي تكتفي بمخزون مياهها حتى لا تجبرها الأيام على الاحتياج لبشر يروي عطشها... أتراها ستعتاد عليّ بسرعة؟ أتراها ستحبّني يومًا؟ أم سأكون بالنسبة لها مجرد مالكة متسلطة!!

ملحوظة: أسميتها (روز).

يا طهر السماء.. طهّرني!

أحمر

رعشـة خفيفـة تسـللت لروحهـا فارتجفـت! تكومـت عـلى نفسـها وتدثّـرت بأغطيـة لا تحمـي مـن الـبرد.. لأنهـا دائمـاً بـاردة! جسـدها النحيـل يغـرق في رعشـات تتزايـد قـوة، لم تسـتطع منـع عينيهـا العسـليتين مـن ذرف الألم الـذي يسـكنها، بكـت وبكت..وصرخـت كثـيراً، صرخـت في هـذا الكـون المظلـم كقلوبهـم، وتلـك السـماوات الرماديـة كلـون الـبرودة ذاتهـا، رددت اسـمها مـرارًا، وكأنهـا تائهـة تبحـث عـن نفسـها بـلا جـدوى! تناولـت سـكينًا صغـيرًا يلازمهـا دومًـا، وأحدثـت جروحًـا كثـيرة في معصمهـا، نزفـت يدهـا حتـى تلـون كفهـا بالأحمـر، تسـارعت نبضـات قلبهـا، بصـوت مبحـوح نـادت: أمـي.. ولم تجـب، نـادت: أخـي، ولم يجـب، بوجـع يسـكنها منـذ زمـن نـادت: يـا الله...فانهمـر المطـر!

وددت لو أرفقتها هنا!

حقًّا ساحرة

أمتلك مقطوعة موسيقية تفوق الروعة في جمالها، أجهل اسمها واسم مؤلفها، وإنما أعشق زواياها كثيرًا، في كل مرة أتلذّذ بسماعها، ينتابني شعور بأنها تحمل أسرارًا صغيرة، هي جزء من سر كبير جدًّا! ربما لا يعرفه أحد غير المؤلف، بدايتها تسحرني، تشعرني بأن عازفيها يرتلون على آلاتهم لأجلي! وأن أحدهم يتقدم فيلامس أناملي في هدوء وسرية تامة ويجذبني إلى مركز الكون، يراقصني وينثرني نغمًا من نغماته على سطح الأرض كالبذور الصغيرة، تنبت مع كل ترتيلة يرتّلونها! أما نهايتها فصرخة من قلب كالحلم كبير، كالليل مظلم، كالطفل مبتسم، وكالعروس المملوءة بفرحة تكاد تغرق البشر أجمعين، أكاد أقسم أنها ساحرة.. وقد أصابتني بسحر سرّي!

تذوقوا الوحدة، ولكن.. اختاروا نكهتكم المفضلة بعناية!

أن تكون وحيدًا

أن تكـون وحيـدًا يعنـي أن تختـلي بـك في منـزل يحمـل ملامحـك، تجلـس عـلى كرسـيك المفضـل الـذي لا يعـرف غـيرك ليحتضنـه، وأمامـك أعقـاب سـجائر لا تتجـاوز العـشرة، ملقـاة بإهـمال عـلى طاولـة بنيـة أنيقـة صغـيرة الحجـم، بجوارهـا روايـة لمؤلـف مشـهور، اشـتريتها مـن تلـك المكتبـة التـي ترتادهـا أسـبوعيًا لأنـك ببسـاطة مصـاب بجـوع قـراءة مزمـن! أمـا مـا يسـكن يديـك فكـوب قهـوة غـير محـلاة سـاخن جـدًا، تحتويـه براحـة بـين كفيـك وكأنـك تقـول لسـخونة القهـوة انسـابي داخـل شرايينـي ودفّئـي وحـدة قلبـي هنـاك! أن تكـون وحيـدًا يعنـي أن تقـضي شـتاءك متجـولًا في طرقات المدينـة مشـيًا عـلى الأقـدام، لا يصيبـك التعـب أو الملـل أبـدًا، فقـط أنـت ترفّـه عـن نفسـك وعـن وحدتـك، وحدتكـما، بالتسـكع تحـت المطـر! فهـل تفضـل أن تتخـلى عـن صداقـة البـشر وتعقـد صداقـة جديـدة مـع الوحـدة، أم أنـك تفضـل زحـام البـشر المتكاثـر وثرثرتهـم التـي تشـبه النفـط، يمكنـك اسـتخراج مشـتقات كثـيرة منهـا ولا تنفـد!

ورسمتني يومًا!

منـذ زمـن لم أرسـم، اليـوم رسـمت شـيئًا مختلفًـا، شـيئًا لم أرسـمه مـن قبـل قـطّ، رسـمتني! لم أكـن أرغـب في ذلـك أبـدًا لأننـي أعـرف أن مهـارتي في رسـم الأشـخاص ضعيفـة جـدًا، ولكـن كان لرسـمي لـذاتي هـذه المـرة سـبب خـاص جـدًا، طلـب منـي أن أقـوم بذلـك شـخص يحـاول منحـي الحيـاة بـكل جمالهـا -كـما يراها هـو- يحاول أن يبنـي بداخـلي أحلامًـا جديـدة، أحلامًـا أكـبر مـن الكـون بـأسره وأكـبر مـن قلبـه ربمـا! أخـبرني أننـي يجـب أن رسـم نفـسي كي أحبهـا، لم أقتنـع بذلـك ولكـن يكفينـي اقتناعـه بمـا يخـبرني بـه... قـررت رسـمي، واعتكفـت عـلى دفـتري وأقلامـي الرصـاص لأربـع سـاعات ونصـف حتـى انتهيـت، أعجبتـه ولكنـي رأيـت أنهـا لا تشـبهني إلا في حجابهـا لا أكـثر! كانـت تلـك الرسـمة علاجًـا فقـط.. ولكنـه لم ينجـح، ومـا زلـت لا أحبنـي.

لا تحــزني عزيــزتي.. فالعجائــز يموتــون لتنبــت بركاتهــم بســاتين في الأرض!

قليل من الأنانية لا يضر!

توفيـت جـدة صديقتـي منـذ يومـين، وصلنـي الخـبر وأنـا في أسـوأ حـالاتي النفسـية! حقًـا المصائـب لا تـأتي فـرادى.. كـما يقولـون، كنـت وقتهـا أمـر بأزمـة نفسـية ذات بقايـا سـابقة تتجـدد كل فـترة وكأنهـا تشـتاق إليّ، فتـؤرّق راحتـي مـن بـاب مفاجـأتي! وتنتظـر منـي أن أسـتقبل مفاجآتهـا بضحكـة مسروقـة مـن أعـماق قلبـي وبصـدر أوسـع مـن الأرض.. فكـرت في مهاتفـة صديقتـي بعـد أن قـررت ألا داعـي لذهـابي إلى منزلهـا لأداء واجـب العـزاء.. جـزء أنـاني بداخـلي وسـوس لي أن يكفيـك مـا يسـتعمرك مـن وجـع، لسـت خارقـة لتبـذلي اسـتعداداتك كلهـا في مواسـاة غـيرك، وأنـت في أمـسّ الحاجـة لتلـك المواسـاة. وحـين فكـرت في الأمـر وجـدت أن تلـك الجـدة -حسـب مـا كانـت تخبرنـا صديقتـي- تسـكنها أمـراض الشـيخوخة منـذ زمـن، وأنهـا اسـتنفدت عمرهـا المقـدّر، وحـان وقـت رحيلهـا عـن كآبـة الواقـع للأبـد!

رحلت الجدة وارتاحت... وقررت عدم الذهاب.

ملحوظـة: بمقـدار كرهـي للمآتـم، أكـره الأعـراس وربمـا أكـثر.. فقـط كي لا أحظـى بنصيـب وفـير مـن اللعنـات بداخلكـم!

أخي..بلون يشبه قلب التوت.. أهديك محبتي!

مثلجات بروح التوت

اليـوم.. اسـتيقظت مـن قـاع الأحـلام، أحـاول سرقـة بعـض مـن تفاؤلهـم الصباحـي الـذي لا ينفـد أبـدًا، حاولـت جاهـدة أن أرسـم

بعـض الضحـكات عـلى وجهـي.. فربمـا اعتـاد عـليّ الفـرح قليـلًا! اسـتيقظت بشـهية مفتوحـة لمثلجـات بـروح الفانيـلا، لا أعلـم سـبب اشـتهائي لذلـك فجـأة ولكنـي طلبتهـا ولم أمهـل نفـسي فرصـة التفكـير في التراجـع عـن هـذا الطلـب. أذكـر عندمـا كنـت في عمـر البراعـم كنـت إحـدى مدمنـي مثلجـات التـوت.. كنـت كلـما لمحـت عينـاي الصغيرتـان أخـي وهـو يتسـلل مـن بـاب منزلنـا وفي جيبـه نقـود يطمـح لتبذيرهـا عـلى الحلـوى والمشروبـات الغازيـة.. أسـارع للحـاق بـه، كأنـه السـاحر الـذي سـيحقق لي أحلامـي كلهـا في ثانيـة! كنـت أقطـع طريـق ذهابـه ولا أسـمح لـه بالهـرب قبـل أن يعـدني بـأن يشـتري لي مثلجـات التـوت المحببـة إلى قلبـي، وبعـد إلحـاح كبـير منـي، كان يستسـلم لإصراري المزعـج ويعـدني بغضـب شـديد أنـه سـيحضر لي مـا أريـد، فقـط لأدعـه يذهـب قبـل أن تكتشـف أمـي عـدم وجـوده! وكنـت أفسـح لـه الطريـق والضحـكات تمـلأ روحـي سـعادة..ما زلـت أحبـك يـا أخـي بمقـدار عشـقي القديـم لمثلجـات التـوت.

لا شيء سوى..كن بخير أرجوك!

أرجـوك.. لا تخـبرني الحقيقـة، لا تزفـر زفراتـك المؤلمـة في أذني، لا تقـل إن المـرض سرقـك مـرة مئويـة أو ربمـا ألفيـة مـن قـاع الحيـاة التـي كانـت تغرقـك، وكنـت تغرقنـي بهـا معـك، أرجـوك.. أجبنـي ولكـن ليـس بصمـت قاتـل لروحـي، ليـس بصمـت يخلـق بداخـلي قلقًـا ينمـو وينمـو حتـى يسـتطيل إلى شراييـني ويقتلنـي، أرجـوك.. كـما عهدتـك، كـن دومًـا، محاطًـا بهـالات مـن نـور كروحـك، تـزرع أحلامـي بداخلـك لتحبهـا.. فتجـبرني عـلى محبتهـا وتتحقـق! تتلـو عـليّ مـا تطمـح إليـه كل يـوم، وأتلـو عليـك الدعـوات.. تفيـض خـيراً عـلى جسـدك فتطهـرك وتطهـر قلبـي معـك، أرجـوك... وقليـلاً مـا أرجـوك، افتـح عينيـك وأجبنـي.. أمـا زال وعـدك لي بعـدم مفارقتـي، حيًـا بداخلـك؟

الصداقـة الحقيقية..كالصبـاح الـذي لا يسـتطيع أن ينهيـه ليـل أبـدًا!

طيور بيضاء

يغتالنــي اشــتياق كثيــف ككثافــة حــزني عــلى فراقهــم، كانــوا لي مجموعـة ابتسـامات صباحيـة أتلقمهـا جرعـات كل يـوم شـئت أم أبيـت، كانـوا كالطيـور البيضـاء يحلقـون في كتبـي ودفاتـري بحثًـا

عـن إجابـات لأسـئلة الواجبـات المنزليـة، وكنـت أمنحهـم بكـرم يفيـض مـن روحـي قبـل دفاتـري.. وأبتسـم، لم تكـن تجمعاتنـا نـادرة، ولم تكـن بكـثرة أحاديثنـا التـي لا تنفـد أبـدًا، نـشرات أخبـار كنـا نقصّهـا كل يـوم عـلى آذان بعضنـا، ووصفـات للجـمال وثرثـرات عـن هـذا وتلـك، لم نكـن نَمَـلُّ.. فقـط كان الملـل يتركنـا بحثًـا عـن غيرنـا ليصيبـه! كنـا نتبـادل التهـاني قبـل اسـتيقاظ فجـر العيـد، وكأننـا نحـاول بذلـك قطـف الفرحـة مـن حناجـر بعضنـا قبـل أن يقطفهـا أقاربنـا، كنـا نحلـم ونرسـم ونبـكي.. إن أصيبـت إحدانـا بوعكـة عارضـة، أو زار ملـك المـوت منزلهـا عـلى غفلـة منـا، لم نكـن نعـير اهتمامـا لطريـق تدنـو نهايتـه تدريجيًـا مـن صداقتنـا المزهـرة، ولم نكـن نعلـم أننـا سـنبكي عنـد مفـترق طـرق سـتبعثرنا عـن بعضنا في زوايـا متفرقـة مـن الحيـاة.. بحرقـة الأم التـي فقـدت جنينهـا، ولم نتصـور يومًـا أننـا سـنحتضن أجسـاد بعضنـا المرهقـة بـكل ذلـك الصـدق، وبـكل تلـك النبضـات المتتاليـة كدقـات السـاعة التالفـة ألمًـا مـن الزمـن!

ما زلت أراك تغطين صباحي بتفاؤل لا يفقهه البشر!

اهدلي

دنـــدني أيتهـــا الحمامـــة البيضـــاء، اســـكبي أفراحًـــا عـــلى قلوبنـــا..

اسرقينا من واقعنا وطيري، حلقي فوق الغيمات ودندني أكثر، زيّني خصلات طفلة بريشك الأبيض، ودندني.. علمينا كيف نشرع نوافذنا للغد، علمينا كيف نرفرف بأجنحتنا في السماء.. كي نطير نحو الشمس، نقتبس منها نورًا نضيء به مصابيحنا المنطفئة دهورًا ماضية، اهدلي أيتها الحمامة البيضاء بصوتك العذب عبر المآذن لتعود الألوان لقزحها، وتستقر اللآلئ في قاع المحيط، وتغفو الأسرار في صدور الأطفال إلى الأبد! أطربي العالم أكثر واعزفي بجناحيك أغنيات جديدة تصنع مستقبلًا مختلفًا للبشر، وتغرس بداخلنا معاني أجمل للحياة.

ليتنـا نسـتطيع اسـتيعاب تفاصيلنـا الدّاخلية..لـنرى الكـون مـن خلالهـا ونحيـا!

سذاجة

مـؤلم هـو إحساسـك بالضعـف حـين يحتاجـك مـن أنـت دائمًـا في حاجـة إليـه، تخنقنـي العـبرات الممزوجـة بقلـق يـكاد يفتـك بـأزرار بلاسـتيكية سـخيفة وشاشـة تحمـل كل الأسرار خلفهـا ولا تبـوح بواحـد منهـا عـلى الأقـل، لتريـح عقـلي المرهـق تفكـيرًا وإحباطًـا طازجـين، متجدديـن كل دقيقـة! موجـع هـو قلبـك حـين يعانـق الحـزن دهـورًا كي يعيـش، وكأنـه مـا عـاد يعـرف معنـى للحيـاة سـوى المـوت، مرهقـة هـي مشـاعرنا حـين ترتكـب جـرم الخـروج عـن سـيطرتنا المصطنعـة، لتهـرب إلى عـوالم أكـثر حريـةً وإرهاقًـا، سـاذجون نحـن حـين نظـن أننـا معجونـون بقـوة لا تحطمهـا جبـال مـن المصاعـب أو أننـا نمتلـك قـدرةً خارقـةً عـلى الوقـوف تحـت دوي الرعـد والـبرق صارخـين بقـوة أعماقنـا (لا نهـاب تفاهـة الحيـاة....)، في حـين يرانـا الآخـرون نتسـاقط كثـمار التفـاح التـي أصابهـا العطـب، ومـا عـادت قـادرة عـلى التمسـك بالحيـاة أكـثر... فسـقطت ميتـة!

رتّل على مسامع قلبي دروسك..وسأتعلّم!

علمني

علمنـي.. كيـف تكـون الابتسـامة، كيـف تكـون الشـمس معطـاءة كوجهـك وملامـح روحـك، علمنـي.. كيـف أضحـك مـن زاويـة فمـي بسـخرية مـن غبـاء البـشر، علمنـي.. كيـف أغمـض عينـي وأوجّـه جسـدي نحـو مصـدر الحيـاة وأشـهق شـهقة تبعـث بداخـلي كونـا جديـدا، يشـبه كونـك، وربمـا أجمـل، علمنـي.. كيـف أعبـث بأصابـع طفوليـة في عقـارب الزمـن، وأوقفهـا حتـى ينتهـي العمـر.. ومـا زال الزمـن لم ينتـه، علمنـي.. كيـف أحلـم بحريـة العصافـير، بطهـر الملائكـة، وبقـوة الرسـل أجمعـين! علمنـي.. كيـف يتنفـس الصبـح مـن أفـواه الصالحـين.. كيـف أكـون منهـم.. وكيـف أتنفـس الصبـح ذاتـه، علمنـي.. كيـف أرسـم فأشـفى، كيـف أكتـب فأحيـا، علمنـي.. أسـماء الألـوان مـن جديـد، وعناويـن الأرض مـن جديـد، وأسـماء البـشر مـن جديـد، علمنـي.. كيـف أتدفـأ بوطنـك وكيـف أعـثر عـلى وطنـي مـن جديـد!.... علمنـي!

فقط لو كنت معي.. لربما اختلف مفهومي للحياة!

في الجنة سألقاك

كـم كنـت أرغـب بلقائـك، أنـت لا تعرفنـي شـكلًا أو اسـمًا حتـى،

لكنّـي أعرفـك جيـدًا، وأحفـظ ملامحـك التـي سـكنت فيهـا إرادة فتتـت بهـا الحيـاة فأحلتهـا إلى جزيئات بسـيطة سـهلة الاعتيـاد! كم أحببتـك.. فقـد امتـلأت ذاكـرتي بحكايـاك التـي لا تنتهـي، ألقمتنـي إياهـا (أمـي) كنـوع محبـب مـن الحلـوى اللذيـذة... وقـد كانـت ذكـراك أشـهى مـن الحلـوى بكثـير! كانـت تقصـك عـليّ بتفاصيلـك، تبـث فيّ روحـك، كـم أخبرتنـي عـن أبوتـك التـي لطالمـا دفّـأت منزلكـم الصغـير، عـن شـغفك بالقـراءة وحـبّ التعلـم -تعلّـم كل مـا يخطـر ببـال بـشر ومـا لا يخطـر- وعـن عشـقك للكتـب الـذي لم ينتـهِ أبـدًا، رغـم أنـك لم تتلـق تعليمـك النظامـي، كنـت أميًّـا، لكنـك ارتشـفت مـن الحيـاة دروسًـا أغنتـك عـن كلّ الشـهادات، أدمنـت العلـم.. فعلمـت كل شيء وعلمّتـه بـدورك لابنتيـك الوحيدتـين، كنـت أبًـا يحمـل الحيـاة بداخلـه، وزوجًـا يحمـل بداخلـه أجمـل مـا يمكـن أن يكـون بـين زوجـين، حتـى حـين اجتاحـك المـرض.. كنـت جميـلًا بقوتـك التـي لم تنفـد أبـدًا رغـم كلّ شيء، وحـين فارقتـك روحـك البيضـاء.. كنـت قـد قسّـمت ذاتـك الجميلـة بعـدل متقـن بـين قلبـين، الأول: ورثتـه ابنتـك الكـبرى.. والثـاني: ورثتـه (أمـي) ابنتـك الصغـرى، لتقـص نصيبهـا في حكايـاك عـلى قلبـي فأتعرفـك وأحبـك.. وأفخـر بأنـك كنـت والدهـا يومًـا، وأحـزن كثـيرًا لأنـك لم تـدرك قبـل رحيلـك بأنـك سـتصبح جـزءًا مـن أعـماق حفيدتـك، التـي لم تـرك يومًـا سـوى في صـورة رسـم عليهـا الزمـن تجاعيـده المؤلمـة، ولكنهـا مـا زالـت تسـتمد صمودهـا مـن ابتسـامتك الغارقـة

في تفـاؤل جميـل.

ازرعي بداخلي اخضرارك.. لأنمو من جديد!

روز

وكـبرت (روز) وازداد اخضرارهـا لـذة! انتابنـي فـرح كثيـف حـين

اكتشفت أنها استطالت أكثر عن الأسبوع الماضي، وكأنها كبرت لأجلي، وكأنها تبنت أحلامي وزرعتها في أعماق اخضرارها الجميل وأحاطتها بأشواكها، حتى لا تسول لي نفسي أن أجهض طهرها، أو كي لا يصيبني جنون قتلها يومًا، صدقًا أحببتها.. جميلتي (روز) أحببتك جدًا، واعتدت عليّ جدًا، لوجودك دفء خاص، ولاسمك سبب أكثر خصوصية، تعلمينه ويكفيني علمك به، فلا أرغب في البوح به لأحد إلاك، خضرائي الجميلة.. اكبري أكثر كاحباطاتي المتكاثرة، فربما تستطيعين منع نمو تلك الأخيرة ذات أمل! اكبري.. واملئيني إصرارًا كي أصبحكِ يومًا، ذات أشواك تؤلم!

تزداد محاولاتك غير المنطقية.. وأزداد تكتمًا منطقيًا!

محاولة عبث

لم تجبرني على البوح؟.. عزيزي، أنت لا تعرفني، فأنا اعتدت أن أفعل كل شيء في صمت! أعتدت أن أكره بصمت، وأن أحب

بصمـت، وأن أضحـك بصمـت، وأن أبـكي بصمـت، وأن أتفـوّق في دراسـتي بصمـت أيضًـا، لم تجـبرني عـلى الـصراخ وأنـا لم أعتـده؟ لم تجـبرني عـلى التجـرد مـن شيء ولـد معـي وكـبر، حتـى أصبـح يلازمنـي في جميـع تفاصيـلي؟ لم تحـاول اقتحـام أعماقـي دون إذن منـي؟ لم تحـاول إنطـاق لسـاني وهـو لم يعتـد الـكلام أصـلًا؟ لم تجـبرني أن أكـون ككلّ البـشر مـن حـولي؟ أهـدر الصمـت بداخـلي كي تجـد الضوضـاء متسـعًا لهـا.. فتحتلنـي! أرجـوك.. اتركنـي كـما أنـا، ولا تحـاول العبـث بداخـلي، فلـن تجـد مـا تريـد.

طفلتي.. سر السماء أنت!

ملاكي

صغـيرتي كلـون القمـر بشرتهـا، يسـكن الليـل في خصلاتهـا، ويتسـع

الكـون في عينيهـا، ملائكيـة هـي.. كطهـر المطـر رائحتهـا مـن رحـم السـماء جـاءت، سـاكنة كسـكون النجـوم، تنضـج ثمـار التـوت في وجنتيهـا.. فتحمـر، متدثـرة بأحلامـي الصغـيرة وببيـاض الغيـمات.. مهدهـا أجنحـة فراشـات ملونـة بألـوان الكواكـب، وعناقيـد مـن جـمال تتـدلى لتنـير محيطهـا.. وتسـحر! تـسرق منـي عقـلي حـين تـزور منامـي، وكأنهـا طيـف مـن نـور يتسـلل لروحـي فيجـبرني عـلى الابتسـام ومصافحـة الأمـل، صغـيرتي.. لا تكـبر أبـدًا لأنهـا مـن مصـدر الكـون جـاءت، عـلى عتبـات الحيـاة تقـف تناديـنـي.. ولا قـدرة لي عـلى تلبيـة النـداء، تبـكي... فيتطلـب الأمـر منـي هدهـدة رقيقـة مـن بعيـد، وبضـع قبـلات تسـتقر عـلى جبينهـا تعدهـا بقدومـي حتـمًا.

عودي للإثمار..ولا تنتظريني..فقد يطول الانتظار!

اشتقت إليك توتة

كانـت تسـكن بيتنـا شـجرة تـوت جميلـة، أحببتهـا جـدًا، كانـت

تثمـر توتًـا ذا مـذاق مختلـف، كنـت أترقـب موسـم نضوجـه لأجنيه ثمـرةً ثمـرة، حتـى تتلطـخ يـداي وثيـابي باحمـراره اللذيـذ، صادقـت تلـك الشـجرة، أسـميتها (توتـة)، كنـت أمنحهـا صباحـي كل يـوم، وأقبّـل أوراقهـا النـضرة، وأبتسـم.. فتمنحنـي أمـلًا طازجًـا مـن قلبها.. ينسـاب لروحـي فأتدفّـأ! كانـت تفـاؤلًا مجانيًـا يسـكنني حـين أيأس، هـدوءًا يحيطنـي حـين أبـكي، كانـت جميلـة.. حتـى حـين تتجـرّد مـن أوراقهـا في خريـف عاصـف، كنـت أقبّـل فروعهـا الصامـدة.. فتقبلنـي برقتهـا اللامتناهيـة ونبتسـم معًـا، وحـين وداعهـا منحتهـا جـزءًا منـي.. ومنحتنـي وعـدًا بلقـاء جديـد، ولم أتصـوّر حينهـا أنهـا سـتمتنع عـن الإثمـار بعـد رحيـلي، إلا حـين أخبرتنـي (أمـي) أنهـا لم تثمـر ككلّ عـام.. وأنهـا ربمـا تفتقـد وجـودي! فأيقنـت حينهـا أنهـا كانـت تشـعر بـكل "تصبيحـاتي" عليهـا، وأنهـا مـا زالـت تنتظـر عـودتي مـن جديـد لتثمـر!

مؤمنة هي برب مجيب!

ابتهال

تنهـي صلاتهـا بالسـلام يمينًـا ويسـارًا، تجمـع كفيهـا بخشـوع نقـي..

وتدعـو، بقلـب أرهقـه التعـب، وروح أثقلتهـا الغربـة، وعينـين سـكنهما الحـزن عمـرًا وأكـثر، ترجـو البـارئ فـوق سـماوات سـبع، ولسـانها يتلعثـم بأمانيهـا التـي لم يـؤذن لهـا بعـد بالنضـوج، تدعـو مـن يحيطهـا دومًـا برعايتـه ورفقـه، تستشـعر الملائكـة حولهـا وهـي تنفـث مـا يؤلمهـا بـين كفيهـا.. وتطلقـه للعنـان، تعانـق سجادتها، وتكسـو نفسـها احتشـاما بثيـاب الصـلاة البيضـاء، تدعـو لروحهـا بالتطهـر.. ولأمانيهـا بالنضـوج.. ولوالدتهـا بالجنـة.. ولإخوتها بالتوفيـق.. ولرفقتهـا بـكلّ مـا يشـتهونه.. ولجدّها وجدتهـا بالرحمة، وقبـل أن تعانـق وجههـا بكفيهـا تطلـب مـن خالقهـا أن يمنحهـا القـدرة عـلى الاسـتمرار في الحيـاة حتـى يحـين أجلهـا.

قـوي هـو جسـدك.. خارقـة هـي إرادتك..بصـدق أدعـو: شـفاك خالقـي وعافـاك!

خريف باكر

تقتسـم العمـر مـع مرضـك، يلازمـك.. يضاحـكك وتضاحكـه، يداعب

عافيتــك مــن حــين لآخــر، وكأن مــا يربطــك بهــذه الحيــاة ليســت ســوى مجموعــة كذبــات واهيــة، يختلقهــا إصرارك الغريــب عــلى الاســتمرار، وكأن ذلــك خلــق فيــك مــذ كنــت تســكن رحــم أمــك، مرضــك.. يحــاول الاعتيــاد عليــك، يحــاول أن يصبــح جــزءًا لا يمــوت منــك، وأنــت تحــاول تلويــن روحــك بــكل ألــوان التفــاؤل.. فتتلــون، صامــد أنــت كبطــل أســطوري! واهــن أنــت كخريــف جــاء مبكــرًا عــن موعــده بفصــول.. لكنــك مــا زلــت تحيــط الشــمس بذراعيــك بحثًــا عــن ربيــع لم يــأت بعــد، مؤمــن أنــت بقدومــه.

فليغشاكم عذاب الله!

فاسدون

ينافقـون.. يدّعـون الصـلاح، يثرثـرون عـن مبـادئ عتيقـة، يتبنـون أخلاقًـا لا تعرفهـم، وقيـمًا للملائكيـة أقـرب.. بينـما هـم عنهـا أبعـد بأعـمار لا تفنـى، يزرعـون أفكارهـم الفاسـدة في بقـاع الأرض وفي ثنايـا العقـول، يزرعونهـا كأوامـر واجبة التنفيـذ، يطالبـون بالإصلاح.. بالعـدل.. بالرقـي، بينـما هـم لا يعرفـون مـن تلـك المعـاني سـوى حـروف أبجديـة كونتهـا، يـرددون المثاليـة كأغنيـات حفظـت ولم تترجـم! للكيانـات الشـيطانية هـم أقـرب، عقولهـم يصبغهـا صـدأ لا يـزول، أرواحهـم بالـشر تعطـرت.. تزينـت، ارتـدت أجسـادهم طهـرًا محبـوكًا بخبـث نـادر الوجـود! تتـبرأ منهـم التقـوى، وتغادرهـم رحمـة الخالـق وتوفيقـه... للهـلاك منفاهـم ولا غـيره.

أحببناهم ولكنهم.. أحبوا إيلامنا أكثر!

ذكرى

مؤلمة هي ذكرياتنا القديمة، الأماكن.. الوجوه.. الأنفس.. وحتى صلوات الجمعة! كنا صغارًا حين اعتدنا عليهم.. وأحببناهم، كنا صغارًا حين كان أكبر همنا أن نتراكض في الحواري والأزقة المعتقة بروائحهم ومساكنهم، كنا صغارًا حين ظننا أن المحبة هي السبب الوحيد وراء ما كانوا يهدوننا إياه من حلوى ونقود لنبتاع بها ما نشتهي، كنا ساذجين سذاجةً طفولية حين احتضنّا أياديهم بتوق الصغار وهي تعانقنا ببرود واصطناع للحنان! كنا صغارًا جدًا.. حين أحببنا وطنًا استنشقنا فيه أنفاسنا الأولى.. وأطلقنا فيه صرخاتنا الأولى وضحكاتنا الأولى، ولم نعلم أن هذا الوطن هو نفسه من سيسلب الحياة منا حين نكبر، لم نكن نعلم أننا سنشتاق بوجع مفرط لتلك الأزقة.. وهي التي تخنقنا من حين لآخر بقسوة ثاني أكسيد الكربون!

لا زلت أشتهي تفاؤلك.. سيدي!

بائع الفاكهة

لا زلـت أذكـر وجهـه البشـوش، وابتسـامته المتفائلـة بالكثـير مـن الخـير، لا زلـت أذكـر وقوفـه طيلـة اليـوم مرحبًـا بالزبائـن مـن مختلـف الطبقـات والثقافـات والأوطـان! زرعتـه الحيـاة بـين أصناف الفاكهـة الشـهية، فاعتـاد رفقتهـا واعتـادت كفاحـه... فأهدتـه مـن سـكّرها خـيرًا غزيـرًا، كنـت طفلـة حـين كنـا نـزوره لنبتـاع مـا تشـتهي أنفسـنا مـن فاكهـة، كان في كل مـرة يهدينـي ثمـرةً مختلفـة لأتذوقهـا مـع ابتسـامته المشرقـة دومًـا، كانـت روحـه ملوّنـة بأحمـر الفراولـة وأصفـر المـوز وأخـضر العنـب وأزرق الـدراق، كانـت تسـكنه مذاقـات الفاكهـة وألوانهـا كربيـع أبـدي... يهـدي منـه مـا يشـاء للعابريـن أمـام متجـره ولا ينفـد!

لسنا أذكياء..وليسوا أذكياء ليلبسوننا غباءهم!

يعتقلــون نضوجنــا.. بــلا تهمــة ســوى أنــه حــان قطافــه يومًــا، متسـلطون عـلى البـشر هـم، ديمقراطيـون بـلا ديمقراطيـة، يطعموننا نسـيانًا مؤقتًـا.. نتجرعـه كل يـوم بوجـع! يعلمـون أننـا لسـنا أغبيـاء، ولكنهـم يحاولـون ممارسـة الكـذب عـلى ذواتهـم، كـما يمارسـونه عـلى الفقـراء بتمـرس شـديد، يخنقوننـا في وطـن لا يتنفـس سـوى عــوادم الفقــر والظلــم والحرمــان، بينــما يتنفســون هــم دماءنــا بشـهيّة مفرطـة وبضمـير متعفـن، يجهضـون كل حيـاة تُخلـق فينـا، وكأن ممارسـة العيـش جـرم يرتكبـه البـشر عـلى مـرأى ومسـمع منهـم.. لكنهـم يتجـاوزون! يحدثـون أنفسـهم، أن ربمـا عـادوا إلى رشـدهم يومًـا... وماتـوا!!!

يحـدث أحيانًـا أن نتجـرّع الكـذب -حتـى عـلى أنفسـنا- فقـط..
كي نبقـى!

استفهامات

جميعنـا يحتـاج لغيمـة تحمـل لـه قـدره المنتظـر.. وباقـات ورود ممــن يفتقدهــم، حــين يعلــو المــآذن صــوت الغيــب، نرتجــف وتــسري في نفوســنا قشــعريرة ووحــدة، لم نحتــاج للمظـلات حــين يتســاقط المطــر؟ أوليــس هطولــه خــيرًا! ننافــق أنفســنا فقــط كي نبــدو مثاليــين.. أو كي يملّنــا الصــدق، في الأعيــاد نجامــل.. ويزورنــا الفــرح في رتابــة وكأن مفاجآتــه قــد نفــدت! لم نجــبر تجاعيدنــا عــلى الابتســام، في حــين يغرقنــا اليقــين بعــدم قدرتهــا عــلى ذلــك ومــع ذلــك نبتســم بافتعــال، ملوثــون الأنفــس نحــن، ومــع ذلــك نطالــب بتطهــير الشــوارع!

وما زالت أرواحنا تسكن قاعات الوصول!

غياب محترف

يرهقوننـا بغيابهـم، يقتلـون السـكون بداخلنـا، ليفسـحوا أمكنـةً أوسـع للقلـق، يغيبـون كشـمس لا تألـف سـوى الغـروب، يحترفـون الصمـت.. وكأنهـم مـا تعلّمـوا الـكلام يومًـا! ينهكـون حبنـا المجنـون لذواتهـم، يسـتنزفون تحمّلنـا، ويجرّدوننـا مـن راحـة للبـال قربهـم، بعيـدون هـم، تحتضـن أوجاعهـم أوطـانٌ أخـرى.. سـلبتهم منـا، فأصبحـوا مُحرّمـين! يتعبنـا الاشـتياق وتـزداد مـرارة فراقهـم في حلوقنـا، دهـرًا بعـد آخـر، يجبروننـا عـلى اعتيادهـم ثـم يمضـون! وكأنهـم عـلى موعـد آخـر مـع غيـاب متكـرر.. يشـابه حزننـا المغمور فينـا، وابتسـامتنا الرديئـة المحلقـة دومًـا في فضـاءات الانتظـار!

أحيانًا، قد تحيلنا الأحلام لعظماء أو.. بؤساء!

ونكبر!

تتســارع الأيــام، وينقــضي العمــر، فنــدرك فجــأة أننــا نكــبر، وأن

الزهـور تبـدأ بالذبـول رغـمًا عـن الفـرح! صغـارًا كنـا، لا نشـتهي سـوى قطعـة حلـوى ولعبـة تـسرق وقتنـا بالمـرح، كنـا كحبّـات الثلج الصغـيرة، سـكنت غيمـة وأخـذت فالنمـو والتكاثر حتـى زاد عددها، ولم تعـد تسـعها غيمـة صغـيرة فغادرتهـا وتسـاقطت، لتقبـل الأرض وتـذوب فـوق الأكتـاف والمعاطـف والمظـلات البـاردة، صغـارًا كنـا.. صغـيرة كانـت أحلامنـا، وحـين كـبرت، لم يسـعها رحـم الأرض، فبدأت بالخـروج واستنشـاق الحيـاة، وربمـا لم تكفهـا محاولاتنـا الفاشـلة في تحقيقهـا.. فملّـت وهاجـرت لآخريـن تعانقهـم الحظـوظ دومًـا بضحـكات لا تنتهـي.

كثيرون مثله في أرجاء العالم..يعيشون على سرقة الفرح!

فرح مسروق

يعانـق حاويـات القمامـة طلبًـا لـدفء وهمـي، منكمـش الجسـد،

بـارد العظـام، هكـذا حالـه كل مسـاء، اعتـادت عليـه أرصفـة المدينـة.. فألفتـه وألفهـا، حتـى إنـه ربمـا رسـم يومًـا بعـض أحلامـه عليهـا، وكأن أعمـدة الإنـارة سـتمنح تلـك الخربشـات بعضًـا مـن نورهـا فتتجسّـد حقيقـة! صباحًـا.. تجـده يجـوب الشـوارع بثيـاب مزقهـا الفقـر.. ومـا زالـت متماسـكة، تسـتر عورتـه رغـم كلّ شيء! يبيـع بعضًـا مـن طفولتـه وكرامتـه مـع بعـض الدعـوات التـي لا تعـرف طريقهـا للسـماء فتتـوه في زحـام البـشر، وتتبخـر مـع بعـض حبـات العـرق المالـح التـي دائمًـا مـا تغسـل جبينـه إرهاقًـا وقهـرًا، طفـل هـو، أنجبتـه الحيـاة ونسـيته كإخوتـه ممـن يجوبـون الوطـن، منهـم مـن يبيـع الدعـوات مثلـه، ومنهـم مـن يـسرق فرحًـا ليـس لـه!

كثيرًا ما كانت تمطر حزنًا لحزني، لكن.. هذه المرة تختلف!

وقد أمطرت سعادة

اليـوم.. تعلّمـت شـيئًا جديـدًا، تعلمـت.. أن السـماء تمطرنـا بالخـير

فقط..حين تستنشق قلوبنا السعادة من قلوب نحبها! فالكون يبتهج..لحظة أن نبتسم بسببهم، تتراقص الملائكة نشوةً حين نتدفأ بصوتهم.. باهتمام منهم، جزء من هذا الكون نحن، ما يؤثر في مزاجاتنا يؤثر في أحوال الطقس.. في تعاقب الفصول، يؤثر في دوران الأرض ربما! اليوم.. تسلل إلى روحي شيء مختلف، لم أعهده قبلًا.. لا أعرف له مسمى، شيء يشبه شعور ما بعد تعاطي المخدرات!! يشبه شعور ما بعد التعافي من مرض مزمن، يشبه استنشاق قلب زهرة.. حتى آخر ذرة عطر تحمله، اليوم.. لأول مرة أبتسم باكتفاء، أبتسم بارتواء، أبتسم خلسةً.. بيني وبين قلبي بعيدًا عن فضول البشر، اليوم.. لأول مرة تشاركني السماء سعادتي، لأول مرة أشعر أنها أمطرت فرحًا لأجلي.. فقط لأجلي، أمطرت لأدعو من أمطرها بأن يقربني ممن تسبب في إسعادي قرب الأنفاس.

بدعواتك.. ما زلت أستمر!

عودي

كم أشتاق.. لروح تسكنك (أمي)، كم أشتاق لابتسامة من ثغر بالنصائح دائمًا مردد.. لا يمل، ولا تملين الخوف عليّ، ترسمين صباحات على وجهي وكأنني أجهل معنى الصباح دونك، غاليتي أنت، فرقتنا بقاع وبحر، غبت وطال غيابك، لكنني ما زلت أنتظر، ما زال مسائي ينتظرك كي تنيريه بأحاديثك.. بحضورك.. بقربك، ما زال جسدي يتوق لاحتضان ذراعيك، وما زال قلبي يتسع لشكواك وحزنك قبل فرحك، وإن ضاق يومًا على البشر أجمعين، فعليك يتسع قدر الكون، أمي.. مع كل شهقة لرئتي تتكاثر اشتياقاتي لدعواتك الصادقة.. لقبلاتك الشافية.. ولضحكاتك التي طالما غمرت قلبي بسعادة الصغار، أمي.. حبيبتي، جنتي أنت، لك دائمًا أردّد دعواتي، عودي بسلامة الزاجل إلى موطنه!

وإن طال.. حتمًا سينتهي، بحزن أو فرح!

يغفـون كالملائكـة، كالحلـم الجميـل، يغمضـون أعينهـم، يغلقـون قلوبهـم، ويحلّقـون.. مـع بيـاض الأرواح، نحيطهـم باهتمامنـا.. بحبنـا.. بـدفء أياديـنـا، نشـتهي قربهـم ولـو مـن بعيـد، نشـتهي الإنصـات لأحاديثهـم لثرثرتهـم المحببـة لقلوبنـا دومًـا، نحـزن.. لأن أمانينـا المقتـصرة عليهـم فقـط لا تصلهـم، وربمـا لا يعلمـون عنهـا شيئًا أو يعلمـون لكنهـم يلتزمـون الجهـل، أو نحـن الذيـن لا نمتلـك القـدرة عـلى البـوح بهـا، نعانـق الانتظـار طويـلًا كأنـه قـوت حياتنـا، ونرسـم كل يـوم وعـودًا جديـدة تجمعنـا معهـم.. مع خيالاتهـم ربما، كالمسـتحيل يكونـون أحيانًـا، وكالممكـن أحيانًـا أقـل، ولكـن.. مـع كل فجـر نبتهـل بخشـوع صامـت للسـماء، فـلا يسـمعنا سـوى خالـق الكـون والدعـوات المعلقـة عـلى أبـواب الأفـق... تنتظـر الإجابـة!

قـال المـولى: "وإذا سـألك عبـادي عنـي فـإني قريب أجيـب دعوة الـدّاع إذا دعـان فليسـتجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشـدون"

مؤمن

يكـبرّ الإمـام.. إعلانًـاا عـن بـدء الصـلاة ويكّـبر مـن خلفـه المصلّـون، يـشرع في تـلاوة فاتحـة الكتـاب وسـور مـن ذكـر اللـه، بخشـوع يرتّـل، يمـارس طقـوس الصـلاة بإتقـان ويشـابهه المصلّـون، يركـع..

يعتـدل.. يسـجد.. يفـرغ قلبـه مـن الأمـاني وهـو أمـام عـرش اللـه سـاجد، يدعـو ويدعـو حتـى تنسـاب مـن عينيـه دمعـات نقيـة.. تنبئـه بقـرب يـزداد مـن خالقـه فيزيـد، يطيـل السـجود، ويتملمـل المصلّـون، فليسـوا جميعًـا يدركـون قيمـة تلـك السـجدة! يرفـع رأسـه أخـيرًا ويتابـع، ويطيـل في كل سـجدة، ويكـرر نفـس الدعـاء، تنتهـي الركعـات الأربـع فيقـرأ التشـهد الأخـير وإصبعـه يشـير للسـماء.. ويسـلّم يمينًـا ويسـارًا، يسـلّم المصلّـون بعـده ويتدافعـون خـارج المسـجد، يبقـى وحيـدًا يعانـق المصحـف بكفيـه، يقـرأ ويقـرأ حتـى بـزوغ الفجـر، وقبـل أن يعطـر بأذانـه مسـامع النائمـين، يقـف عـلى البـاب، يداعبـه هـواء الليـل البـارد، يبتسـم ويرفـع كفيـه للمـولى يكـرّر الدعـاء الـذي لا يمـل ترديـده، وبعـد أن يشـبع قلبـه بالابتهـال، يصعـد درجـات المئذنـة ويبـدأ في قـول: اللـه أكـبر اللـه أكـبر.. أشـهد أن لا إلـه إلا اللـه...

يسـلبهم المـرض أعمارهـم المزهـرة.. ونراقبهـم نحـن مـن بعيـد، دون حـراك، دون حيـاة!

ضعف

ينفـد الحديـث، حـين يرتـدون الصمـت، حـين يكفّـون عـن البـوح، حـين يعتصرهـم الوجـع.. ونفقـد نحـن القـدرة عـلى امتصاصـه منهـم ليسـكن بجـوار أوجاعنـا المتكاثـرة دومًـا، حينهـا نبـكي.. رغـمًا

عـن تفـاؤل وهمـيّ اختبأنـا وراءه دهـورًا كي نبقـى أقويـاء، ينهكنـا التفكـير بهـم، وتنهكنـا ابتسـامتهم المقتولـة عـلى أعتـاب الفـرح! لمـاذا نغـرق في ضعـف سـاذج في وقـت نكـون في أشـد الحاجـة إلى القـوة فيـه، في وقـت يكونـون في أشـد الحاجـة إلينـا فيـه، لمـاذا لا تسـتطيع رئاتنـا منحهـم الأكسـجين كي يعيشـوا، كي يتنفسـوا مـن جديـد، كي يحلمـوا مـن جديـد، لمـاذا لا تسـتطيع أجسـادنا منحهـم بعضًـا مـن عافيتهـا، كي يحيـوا مـن جديـد، لمـاذا لا نسـتطيع منحهـم عمرنـا ليعانقـوا الحيـاة مـن جديـد.. ونمـوت نحـن!

قريبان نحن، بعيدان لمسافات تقصر يوميًا!

أنا و.... أنت

أنــت.. حلــم يــكاد يكتمــل، عــالم آخــر مخصّــص فقــط للأحــلام.. للــرؤى.. للأمــاني الجميلــة، أنــت.. ضحكــة الحــزن، وتوبــة الــشر.. ليغــدو خــيراً أبديًــا، أنــت.. بــذرة حملهــا المطــر لــلأرض.. فاخــضرّت وأزهــرت، أنــت.. بيــاض الثلــج، احمــرار التــوت، اصفــرار الشــمس

لحظـة شروق، أنـت.. مسـتقبل يخلـق كل يـوم، وحـاضر لا يـكاد ينتهـي أبـدًا، أنـت.. بدايـة الصـبر ونهايتـه، وارتقـاء للكـون ليصبـح أخـيرًا.. أجمـل! أمـا أنـا.. فلسـت سـوى تمتـمات عـلى شـفاه فقـير، لسـت سـوى بـكاء للفـرح، وذبـول للحيـاة، أنـا.. لسـت سـوى نجمـة تنـثر في السـماء لتنـير لثانيـة ثـم.. تحـترق، لسـت سـوى أضغـاث أحـلام لا تفـسر.. ولا تتحقـق حتـى، أنـا.. لسـت سـوى قمـر لا يملـك القـدرة عـلى الإنـارة.. ليبـدد ظلامًـا يوميًـا، فيسـتعير بعضًـا مـن ضـوء الشـمس لينـير لزمـن ثـم سرعـان مـا ينطفـئ، أنـا.. لسـت سـوى اختنـاق لبـذور في رحـم الأرض، لسـت سـوى إجهـاض لا ينقطـع للحيـاة!

هيا... ابدئي من جديد!

لتفرحي يا صغيرة

عــودي يــا صغــيرة.. وارتمــي في حضــن الوطــن، تدثّــري بأشــلاء الخريـف... وابتسـمي، تنفـسي مـن رئـة الفـرح، اركـضي.. العبـي.. تناثـري ولا تتجمّعـى.. عيـشي مـن جديـد، قبّـلي أحبـاءك.. واحتضني اشـتياقهم واسـتودعيهم اشـتياقك المنهـك، انتزعـي مـا مـضى مـن

عمـر مـن أعـماق ذاكرتـك وأطعميـه للنسـيان أو أحرقيـه بصرخـة طفوليـة عاليـة، بعـد اليـوم.. لا تخـافي يـا صغـيرة فقد عـادت الزهور لتتفتـح مـن جديـد، وعـادت الفراشـات لتتطايـر مـن جديـد، وعـاد قـوس قـزح ليتلـون مـن جديـد، يـا صغـيرة.. أطلقـي لروحـك العنان وجـاوري الشـمس للأبـد!

تمنيت كثيراً وانتظرت.. وقد حان الموعد!

بياض

مرتبكـة.. متوتـرة، تـسري في روحهـا قبـل جسـدها رعشـات فـرح كثيفـة، يتناوبـون عليها وهـي سـاكنة في مقعدهـا، يتبادلـون

تجهيزهـا وتزيينهـا لتغـدو كمـلاك وأجمـل، يمـر الوقـت وتتزايـد أعـداد المدعويـن، كلهـم جـاء للتهنئـة، جـاء ليشـاركها قطـف حلمهـا، وليـزرع قبـلات عـلى خدهـا المتـورّد خجـلًا وسـعادة، أمـا هـو.. فكامـن بـين جمـوع البـشر، ترتسـم عـلى شـفتيه أمنيـة، ويسـكن يديـه بـرودة واشـتياق، ينتظـر وينتظـر.. ويتذمـر فيسـأل: ألم تنتـهِ بعـد؟ فيجيبونـه أن صـبرًا.. فالشـمس تأخـذ الليـل كلـه، تعـدّ نفسـها لـشروق يليـق بمـن ينتظرونهـا، فاصـبر، ولا يملـك إلا الصمـت! تخـرج أخـيرًا.. معطـرة بحيـاء يزيدهـا تألقـاً ورقـة، متدثـرة ببيـاض يليـق بأمـيرات، يعانـق خصـلات شـعرها الحريريـة تـاج مـن لؤلـؤ.. يأخـذ مـن نقـاء روحهـا نـوراً فيتـلألأ، أمـا يداهـا المرتعشـتان فتسـكنهما باقـة حمـراء قطفـت مـن قلبـه.. لأجلهـا فقـط، تتقـدم.. بخطـوات تختـصر عمرهـا كلـه، ينهـض منبهـرًا.. لا تـكاد عينـاه تغمضـان لثانيـة، ويبتسـم، يتـورد خدّاهـا وترتجـف، لكـن والدتهـا تمسـك يديهـا بقـوة فتمنحهـا ثباتًـا وشـجاعة مؤقتـين، تواصـل التقـدم.. حتـى تصـل، يمـد يديـه ويحتضـن يديهـا برفـق.. بحـب.. بتـوق، تتجمـد الكلـمات في روحـه.. يفقـد النطـق فيلجـأ للابتسـام، تبتسـم رغـمًا عنهـا وقلبهـا تتقافـز فيـه نشـوة الفـرح.

مهمَا كَبِرت.. فلن أكفَ عن عشقِه!

غزلْ بناتْ

ألوانـه البريئـة التـي تشـبه قلـوب الأطفـال، دائمًـا مـا تجذبنـي، وتخطـف روحـي، ملمسـه القطنـي الناعـم أشـبه بملمـس طفـل حديـث الـولادة، هـو كومـة بيضاويـة مـن السـكر اللذيـذ، تـدفئ يديـك حـين تملسـها، تداعـب أناملـك بنعومتهـا، تـذوب في فمـك وتحلّـق بـك عـلى أجنحـة أحـلامٍ جميلـة، تشـعرك بلـذة الحيـاة، تخلـق في داخلـك عالمًـا مليئًـا بالمـرح والألـوان الجميلـة، تسرقـك مـن ذاتـك، تنسـاب بـين ذرات روحـك فتنـثر سـحرها فيـك، حلـم الأطفـال وعشـق الكبـار الأبـدي، كومـة سـكر سـحرية، يحملهـا البائـع بخفـة، ويـدور بهـا بـين البـشر، ينـادي بزقزقـة تشـبه جـمال طعمهـا، يبيعهـا رخيصـة ويمنحهـا مجانيـة أحيانًـا، فقـط ليجـذب الجميـع إليـه، فيـسرق أرواحهـم ويرحـل!

ناعمةٌ يداكِ مولودَتي!

جَنينْ

كانت مستغرقة في نوم عميق، تعانق الأحلام، وترسم الغد، حين تحركت في أحشائها تلك المخلوقة الصغيرة، دغدغتها فاستيقظت مبتسمة.. ألن تهدئي قليلاً وتنامي يا صغيرة؟ احتضنت بطنها المنتفخ بحلم جميل، وأخذت تحادثها وتبث أدعيتها المباركة، وتتحسس جنينها بهدوء وشوق، فهي أول فرحة ستطرق حياتها قريبًا، ها هي أوشكت على إنهاء أشهرها التسعة، وأوشك صبرها على النفاد، تتحرّى حمل تلك المخلوقة الملائكية بين ذراعيها، تترقب احتضانها، وإخفاءها في أعماق روحها، وتقبيلها بقلبها قبل شفتيها، تتحرّى مداعبتها وحملها والتكبير في أذنيها، تتوق لأن تصبح ماما!

كَذبوا حينَ قالوا.. سنبنيكْ!

أين الوطن؟

لم يصدقـوا أبـدًا حـين قالـوا نريـد تعمـير الوطـن، لم يصدقـوا حـين قالـوا نريـد العـدل للوطـن، ثـاروا.. خربـوا.. حكمـوا.. ثـم مزّقـوا!! فرّقـوا الشـوارع والبيـوت، خنقـوا رآتنـا برائحـة الوطـن الفاسـد، قتلـوا الحيـاة فيـه، شردوا العدالـة والكرامـة، حتـى أصبحـت تلـك المصطلحـات ذرات غبـار تتطايـر في الهـواء، تثـير العطـاس عنـد الحديـث عنهـا، جماعـاتٌ وأحـزابٌ وفـتن، مؤامـرات واتفاقيـات وهُـدن، حتـى أرهقـوك يـا وطـن، لم نعـد نعـرف في أي بقعـة فيـك سـتغمض لنـا جفـون، وفي أي زاويـةٍ فيـك سـنطعن حتـى المـوت، وفي أي شـارع فيـك سـتسرق أحلامنـا وخبزنـا وحتـى أنفاسـنا، فـكل شـوارعك منتهكـة، شـاخت ملامحـك، ومـات الصبـا فيـك، فلـم تعـد صالحًـا للحيـاة، ولم نعـد صالحـين لنبنـي غـيرك مـن جديـد!

يا بلد.. يا أملٍ يغتصبهُ اليأسْ!

انتفاضة كاذبة

يرتـدون أقنعـة الـبراءة الكاذبـة، أقنعـة النزاهـة الفاسـدة، تـسري في شرايينهـم دمـاء ملوّثـة بظلـم وشر، يظلمـون.. يتهمـون.. يلفّقـون ويسـجنون الأبريـاء بهتانًـا، يمتصّـون حاجـة الفقـراء، وإرادة الصامديـن، يسـتغلون جهـل البسـطاء، ويهتفـون بدمـار وطـن! يجوبـون الشـوارع باسـم الثـورة، باسـم الحريـة والعـدل، ولكـن.. أيـن الحريـة في انتهاكاتهـم؟ وأيـن العـدل في ظلمهـم؟ يتسـلّون بسـذاجة البعـض، وبغبـاء الآخريـن، يصنعـون التهـم بمقاسـات محـدّدة، ويهدونهـا مجانًـا لأبريـاء، لأنـاس انتفضـت قلوبهـم رعبًـا عـلى وطـن يضيـع، وطـن يُمـزَق، وطـن يُسـحق تحـت أقـدامٍ قـذرة، ملوثـة بدمـاءٍ طاهـرة، دمـاء أهـدرت برصـاص أبنـاء الأرض الواحدة!

أمدنَي بعضًا من رِضاه.. فابتسَمت!

على رصيف الشارع

مـررتُ عليـه ذات مصادفـة، كانـت أكيـاس المناديـل القليلـة مكوّمـة بجـواره، تربّـع عـلى رصيـف الشـارع، تحـت موجـة الصيـف الحـارة، وقـد تدافعـت قطـرات مالحـة مـن أعـلى جبينـه حتـى أسـفل ذقنـه، رأيتـه مسـتكين النفـس هادئًـا، وكأنـه في مـكان مختلـف تمامًـا عـما هـو فيـه حقيقـةً، يحمـل بـين يديـه مصحفًـا كبـيرًا، يرتّـل فيـه بخشـوع، وابتسـامة رضـا تعلـو شـفتيه الشـائختين، كان عجـوزًا، لحيتـه البيضـاء فقـط هـي مـا دلّنـي عـلى ذلـك، أمـا وجهـه الممتـلىء بالتجاعيـد فهـو غـارق في تفـاؤل لا حـدود لـه، وقناعـة كثيفـة، صامـد في وجـه الزمـن والفقـر والحاجـة، ورغـم مهنتـه هـذه، التـي يسـتغلها البعـض في سرقـة اسـتعطاف النـاس ورحمتهـم، بـأن يجوبـوا الشـوارع مناديـن عـلى بضاعتهـم البسـيطة، فـإن هـذا العجـوز كان صامتًـا، مكتفيًـا بوجـود البضاعـة جـواره، لا ينـادي ولا يشـحذ، فقـط يرتـل آيـات اللـه في رضـا وصـبر جميلـين!

وَتطيرُ في السماءِ الأمنيات!

ذات حلم

يومًا ما، كان لديّ حلمٌ جميل، كان أجمل أحلامي، كان الروح التي تحميني.. تسعدني.. وتخطفني بعيدًا عن كل مخاوف الحياة، كنت أتنفس معها كل لحظة من عمري، كنت أتقاسم معها قلبي، أو ربما كانت تملك قلبي كله، تلك الروح الجميلة، كانت فقط لي، كانت ملكي، وكنا نخلق كل مساء أمنية صغيرة، وعند بزوغ الفجر، نمنحها الحرية.. فتطير! لكن.. ذات حزن ذهبت.. غادرتني، ووعدتني بالعودة من جديد، فجأة.. تبخر من أعماق روحي حلمي الجميل، ولم أعد أملك شيئًا يحميني.. أو يخلق معي الأماني لتطير، وبعد فترات من الزمن، كانت تطرق ذاكرتي وتفكيري، فيمرّ شيء منها أمامي يذكّرني بجمال أيامها، ودائمًا ما أجد بعد ذلك أثرًا منها، صورة.. كلمة.. أو خبرًا! وكأن القدر يخبرني، بأنها ستدفئني قريبًا، أو أن هذا الحلم خُلق من نصيبي.. مهما ابتعد!

وليتَنا نستطيعْ التعلُّم!

لم نولد كذلك

البشر لا يعرفون الوفاء أبدًا، اكتشفت ذلك مؤخرًا، في مختلف أنواع العلاقات، صداقة.. حب.. زواج.. زمالة.. أو حتى قرابة، فنحن نتعامل مع كل من نعرفهم وكأنهم خيالات تمرّ في حياتنا، سراب وسينتهي، لا أحد منا يحتفظ بالوفاء لشخص ما، فعندما نفترق عن صديق عزيز، ونعود بعد سنوات، قد يعرفنا ولكن نجده يبتسم ابتسامة صفراء معناها: نعم .. وماذا تريد؟ لماذا عدت؟ وعندما نفترق عن زميل دراسة أو عمل، يظن لدى مصادفتنا له بعد زمن.. أننا نريد مصلحةً ما، وشريك الحياة، عندما نلتقيه قدرًا، نراه يحمل حياته الجديدة معه في حقيبته أو جيبه! ويبدأ في سردها وعرضها عليك، وكأنك ما كنت يومًا كل حياته، نحن لم نولد لنكون أوفياء، بل ولدنا لنخون، أو ربما لتعلّمنا الكلاب معنى الوفاء!

عُدتِ للحياة.. لأجلي

رفيقة صبري

أمـس اكتشـفت كـم أن صغـيرتي كـبرت، شـبيهتي الخـضراء، صديقـة وحـدتي، نضجـت وكـبرت، بعـد أن فقـدت أمـل اسـتمرارها في الحياة، فـقـد تعرضَــت لســقطات كثــيرة أثّــرت في جذورهـــا، وأتلفـــت الكثـير منهـا، حتـى أخبرتنـي أمـي أنهـا قـد ماتـت، حزنـت جـدًا وقتهـا، فـروز كان لشرائهـا قصـة فريـدة، وامتـلاكي لهـا كان مختلفًـا، ووجودهـا معـي سـاعدني عـلى اجتيـاز مصاعـب كثـيرة، فقـد لا يفهـم البعـض مـا أعنيـه، ولكـن يكفينـي أنهـا تفهـم، ويكفينـي أنهـا صمـدت لأجـلي ولم تستسـلم للمـوت، صامـدة صبـور كـما عهدتهـا، تعـرف مكانتهـا في قلبـي، وتعـرف مـدى تعلّقـي بهـا، وتعـرف شـدّة ارتباطـي بهـا وباسـمها الخـاص، هذا الاسـم الـذي شـاركتُ في حروفه أجمـل أحلامـي، يكفينـي أنهـا تـدرك ذلـك كلـه، وأنهـا مـا زالـت عـلى قيـد الحيـاة لأجـلي، وأنهـا مـا زالـت تـزداد اخـضرارًا كل يـوم!

كُوني مؤدبة.. ولا تعبثي كَثيرًا!

أول يوم مدرسة

فتحت عينيها الصغيرتين على شعاع شمس رقيق، تخلل رموشها الكثيفة فأيقظها، رفعت جسدها الصغير وجلست، فوجئت بعبث في خزانة ملابسها وصوت حنون: صباح الخير يا كتكوتتَي .. هيا غادري فراشكِ واستعدّي. انصاعت الصغيرة للأوامر وركضت لتغسل وجهها وأسنانها، ذهبت الأم مسرعة إلى المطبخ لتعد فطورًا مميزًا .. فهذا اليوم الأول لابنتها. انتهت الصغيرة من ارتداء الزي المخصص الذي حضرته لها والدتها مسبقًا في أثناء نومها، حملت حقيبتها الصغيرة وركضت نحو المطبخ، رددت بصوت ملح: ماما مشّطي شعري بسرعة سأتأخر! ضحكت الأم وبادرت بالتمشيط.. صنعت جديلتين قصيرتين وربطت أخراهما بشريطة تماثل لون الزي، انتهت الأم وانخفضت لتقبل وجنتيها الصغيرتين.. ولكنها فوجئت بحضن بريء وبصوت فَرِح : شكراً ماما.. أنا أحبّكِ كثيراً، ولكن نداء الحافلة قطع لحظتهما، فابتسمت الأم وساعدت الصغيرة على رفع الحقيبة على ظهرها.. ثم ملأتها بالفطور الذي أعدته، أمسكت يديها الصغيرتين، اصطحبتها خارج المنزل، حيث ساعدتها على ركوب

الحافلـة، بعـد أن قبّلتهـا مجـددًا وهمســت في أذنيهـا: سأشــتاق إليـك كثـيرًا كثـيرًا.. كـوني مؤدبـة هنـاك! هـزّت الفتـاة رأسـها طاعـةً وركضـت داخـل الحافلـة لتحجـز مقعـدًا لهـا بجـوار النافـذة، حيـث تسـتطيع التلويـح لأمهـا بوضـوح، مضـت الحافلـة، ولوّحــت الأم لصغيرتهـا بفـرح وهـي تـردّد داخلهـا: كـبِرتِ يـا كتكوتَتـي.. احفظهـا لي يـارب!

وكأنها ترسمُه لأوّلِ مرة!

ملامح من رصاص

أمسـكت قلمهـا الرصـاص، أغمضـت عينيهـا، وسـافرت بعيـدًا، حيـث المصادفـة الوحيـدة التـي جمعتهـما، بـدأت تتذكـر ملامحـه، حاولـت اسـترجاع ذلـك الشـعور بالفرحـة والتوتـر معًـا، تذكـرت ابتسـامته .. توتـره .. رقتـه .. والحـب في عينيـه، تذكـرت اسـتعجاله لإيصالهـا لمنزلهـا، تذكـرت جيـدًا رغبتـه الملحـة في إنهـاء مصادفتهـما الأولى والأخـيرة! تذكّـرت كيـف اعتـصرت قلبهـا وهـي تودعـه، وكيـف أغلقـت عينيهـا عـلى تلـك الملامـح الفريـدة، ابتسـمت.. وحاولـت جاهـدة الحفـاظ عـلى تلـك الابتسـامة، كي لا يفتضـح أمرهـا، كي لا تخونهـا عيناهـا وتذرفـان.. فـلا تتوقفـان أبـدًا، وفجـأة فتحـت عينيهـا وبـدأت برسـم ملامحـه مـن جديـد، وكأن دفـتر رسـمها لم يمتـلئ بوجهـه كثـيرًا، وكأنهـا ترسـمه لأول مـرة!

حين يكذبُ الصدقُ.. تفشلُ العلاقاتْ.. والصداقةُ تموتْ!

الثقة غالبًا لا تَرى

كثـيرًا مـا نصطـدم بأنـاسٍ يحاولـون مـد شـباك الصداقـة معنـا، لا نعرفهـم.. ولم يسـبق لنـا التعامـل معهـم، ولكـن .. لأننـا وحيـدون، غربـاء عـن وطـن لم نعهـد احتضانـه، وعن نفـسٍ لم نعهـد مصالحتها، وعـن حيـاةٍ لم نعهـد مصافحتهـا، نضطـر للإمسـاك بتلـك الشـباك مـن الجهـة الأخـرى، نـترك لهـم كل الفـرص والأقـدار ليصنعـوا منهـا علاقـات جيـدة معنـا، نفتـح لصداقتهـم الأبـواب، ونشـاركهم أرواحنـا، نقتسـم معهـم ثقتنـا، ونبادلهـم أمانينـا وأحلامنـا وأسرارنـا الصغـيرة، بعـد أن كانـت قلوبنـا قـد ثقلـت بحملهـا، وبعـد أن عجـزت ألسـنتنا عـن البـوح والثرثـرة.. نجدنـا نتعلـم معهـم مبادىء التكلـم مـن جديـد! لكـن.. مـاذا لـو اسـتيقظنا ذات صُبـح لنجدهـم قـد حطمـوا الجسـور بيننـا، نجدهـم قـد اغتالـوا ثقتنـا بهـم، نجـد ألسـنتهم تـشي بأسرارنـا وتفاصيلنـا للجميـع .. حتـى للـمارَّة وللطيـور! مـاذا لـو اسـتيقظنا عـلى صفعـة غـدر مؤلمـة، هـزت أعماقنـا المكدسـة بصداقتهـم وحبهـم، فجـرت تلـك الصناديـق الممتلئـة بذكرياتنـا معهـم وأحرقتهـا! مـا جـدوى الـكلام حينهـا؟ ومـا جـدوى البـكاء عـلى ثقـةٍ عميقـة أغتيلـت غـدرًا؟ بعـد أن ظهـرت حقيقتهـم وتلـوث كل الصـدق فيهـم!

أحمر.. أصفر.. أزرق .. برتقالي، ألوانكِ حَياة!

أكوام الفرح

ألوانهـا دائمًـا تسـعدني، شـكلها وهــي تحلّـق عاليًـا في فضـاء اللـه، يمنحنــي شـعورًا بالحريــة، يطلبهــا الأطفــال دومًــا، فهــي خفيفــة كأرواحهـم، ملونـه كعيونهـم، تحبـس لهـم أكـوام الفـرح بداخلهـا، تجذبهـا الأعيـاد .. والأعـراس .. وحفـلات التخـرج، بالطبـع .. فهـي منجبـة الفـرح! يعشـقها الصغـار لأسـبابٍ طفوليـة، ويعشـقها الكبـار لأسـبابٍ نفسـية! يشـترونها ليسـعدوا أنفسـهم قبـل أحبتهـم، ينفثـون فيهـا همومهـم لتتحـول داخلهـا لأنفـاس مـن فـرح، تتلـون بألـوان قزحيـة جميلـة، كألـوان الحلـوى وقصـص الأطفـال .. والرسـوم المتحركـة .. وحتـى الدمـى وفسـاتين الصغـيرات، يبيعهـا الفقـراء ليعيشـوا، ويشـتريها الفقـراء أيضًـا ليتذوقـوا معنـى الحيـاة، أعشـقها جـدًا، وأعشـق إطلاقهـا في السـماء، وكأننـي أطلـق روحـي معهـا فقـد تجلـب لي السـعادة ذات مـرة!

ليتَه علِمَ ذلك منذ البداية.. فلربما كانَ حالهُ أفضل!

موتٌ هادئ

كان يتنفس بصعوبة بالغة، يسعل كثيراً، ومع كل سعلة كان يشعر أن روحه تُسلب منه، لمعت في آخر عينه دمعة، لكنه للأسف لم يستطع حبسها .. فسقطت على خده الباهت، الألم يعتصر جسده الضعيف، وضميره ما انفك يؤنّبه .. ويُوجعه كثيراً، ذكريات سنين مضت .. لم تُمح أبدًا من ذاكرته، فرغم المرض الذي يكاد يفتك به .. فإن عقله ما زال يعمل جيدًا، ما زال يرتّل عليه أيام عافيته وظلمه! تزوجها لمصلحةٍ مع والدها، تزوجها قهرًا، ولم يكفه ذلك، فجعل الظلم والقسوة منهجه الوحيد في التخاطب معها، حتى نفد الصبر منها، فرحلت ذات يوم .. ولم تعد أبدًا! ظلمه لخدمه .. لأصدقائه .. لشركائه في العمل، جعلهم يغادرونه الواحد تلو الآخر، ليتركونه وحيدًا إلا من ظلمه وسوء معاملته، ازدادت دموعه في التساقط، فهو الآن قد خسر كل شيء، زوجة صبورًا.. تحملته كثيراً، أصدقاء أوفياء ساندوه كثيراً، خدما طائعين.. رعوه كثيراً، لكنه الآن يموت وحيدًا، على فراش المشفى، لا يدري به أحد، سوى ضميره الذي استيقظ متأخرًا جدًا!

وحدكْ .. المستيقظُ هنا!

أرق

رفيـق الليـل، يـزورك حـين لا ترغـب في وجـوده، يقطـع كل الطـرق

المؤديـة لوصـول النـوم إلى عينيـك، حـين يطـرق بـاب عقلـك .. تزداد حركتـك في سريـرك، تتقلـب يمينًـا ويسـارًا، تشـعر بموجـات هـواء حـارة فتزيـح الغطـاء عـن جسـدك بتأفـف وانزعـاج، فجـأة تجتـاح خلايـا عقلـك زحمـة أفـكار، ذكريـات تسـترجعها، أفـكار ترغـب في تنفيذهـا، مهـام تخطـط لإتمامهـا، مشـاريع وأحـلام وقـرارات، تـزداد يقظتـك، ويتمكـن الأرق منـك أكـثر فأكـثر، تختنـق.. فتشـعر برغبـة في استنشـاق هـواء نظيـف، تقـف أمـام نافـذة غرفتـك المطلـة عـلى الشـارع، ترفـع عينيـك للسـماء، سـواد ونجـوم مضيئـة وقمـر أبيـض يسـكن هنـاك، تهبـط بنظـرك إلى الشـارع، تتفقـد الإضـاءة المرتكـزة عـلى كل ناصيـة، تركـز عـلى بقعـة الضـوء التي كوّنهـا عامـود الإنارة، بقعـة صغـيرة لا تكفـي لإنـارة الشـارع بطولـه، قطـة متّسـخة تسـير ببـطء ونعـاس.. تعـبر الشـارع حتـى تصـل لسـيارة تقـف أمـام مدخـل البنايـة التـي تسـكنها، تتسـلل تحتهـا وتـدور دورة صغـيرة حـول نفسـها ثـم تجلـس وتضـم نفسـها وتنـام، تستشـعر الهـدوء حولـك.. الـكل نائـم، باسـتثناء مـن زارهـم الأرق مثلـك، تتحسـس خلايـا وجهـك نسـمات هـواء بـاردة، تسـبب لـك قشـعريرة مفاجئـة ونعاسـا خفيفـا يُجـبر جفنيـك عـلى الهبـوط جزئيًـا، تتثـاءب ... تغلق النافـذة وترتمـي في سريـرك تعانـق الأحـلام، ككل ليلـة!

فقط.. كنتُ مختلفة عن المُعتاد!

قالوا... مجنونة

عندما قررت الذهاب إلى طبيب نفسي، لم أكن مجنونة، ربما تصرفاتي توحي لهم بذلك، ولكني أعرف نفسي أكثر منهم، كما أنني أصبحت أعرف هذا العالم جيدًا، هم جبناء .. لأن حياة كل منهم ممتلئة بشيء ما تجعله بحاجه لزيارة طبيب نفسي، ولكنهم لا يملكون الشجاعة التي أمتلكها أنا! لا يمتلكون الرغبة في البوح.. في التحرر من أسرارهم وخباياهم والتي ربما تدمر حياة كل منهم إن باحوا بها يومًا، لم أكن مجنونة عندما قررت التضحية بدرجة الدكتوراه التي حصلت عليها .. عندما قررت أن ألقي بها في أقرب درج مزدحم بالأوراق غير المهمة، عندما قررت الاستغناء عن مهنتي التي أعيش منها لأفتتح محل زهور صغيرًا على ناصية شارع لا يعبر من خلاله الكثيرون! لم أكن مجنونة عندما قررت أن أعيش وحيدة، ولم أكن أبدًا انطوائية.. فأنا أحب الحياة جدًا، وإن سألوها ستثبت لهم كم أحبها، ولكني احتجت أن أخلق عالمًا لي، بعد أن اكتشفت أن هذا العالم لا يصلح للحياة!

فيه.. أجدُني بِشدة!

الشتاء

انتظـاري كل عـام، الـدفء في بـرودة قارصـة، أيـادٍ مرتعشـة .. وأحـلام متجمـدة! أكـواب القهـوة السـاخنة، ملابـس صوفيـة تدثـرك .. تحـاول خلـق الـدفء في جسـدك، أمطـار تغمـر الشـوارع نقـاءً وطهـارة، تسـقي قلوبنـا وأمانينـا لتزهـر، ريـاح بـاردة كل صبـاح، تنتشـلك مـن وحدتـك، تشـاركك حزنـك وإحباطـك، الشـتاء .. بـرودة نحتاجهـا لتنتعـش ذكرياتنـا، لتسـتفيق تفاصيلنـا الحزينـة، ربمـا لنبـكي، لنسـتمتع بوحدتنـا .. نرسـم ونكتـب ونحتسـي الـبرودة.. لنتلـذذ بهـا، لننـام ولنحلـم بأنـاس رحلـوا، وبآخريـن نفتقدهـم بشـدة، الشـتاء فصـل الرغبـات الجارفـة للاحتضـان، للسـفر عـن الواقـع إلى خيـالٍ أفضـل، الشـتاء .. أفـواه تنفـث الـدفء في أكفّنـا، وجـوع للأغطيـة يعتـصر أجسـادنا، الشـتاء .. الفصـل الـذي قدمـت فيـه إلى الحيـاة، والفصـل الـذي رحـل فيـه الكثـيرون عـن حيـاتي!

لِتر كل ثلاثةِ أشهر!

كيس دم

كانت تقود سيارتها كالمعتاد لوجهتها المتكررة كل ثلاثة أشهر، وصلت .. أوقفت سيارتها أمام المشفى وترجّلت، خطوات ثابتة قطعت بها ساحة الاستقبال ثم الممرات الطويلة، حتى أصبحت أمام القسم الذي أصبحت جزءًا منه منذ أكثر من سنتين، فجأة فُتح الباب وخرج منه ذاك الطبيب، ما إن رآها حتى ابتسم ابتسامة مشرقة جميلة وردد: أهلًا بكِ، كنت أنتظرك، هيا أسرعي بالدخول فنحن بحاجة إليك جدًا اليوم .. سأرسل لكِ الممرضة لتبدأ العمل، هزت رأسها ودخلت مسرعة وأغلق هو الباب خلفها، وضعت حقيبتها جانبًا، واعتلت سريرًا طبيًا استقر في منتصف الغرفة، كشفت ذراعها اليسرى واستلقت على ظهرها في انتظار قدوم الممرضة، رفعت عينيها إلى سقف الغرفة .. وأخذت تجول بهما هنا وهناك، تذكرت ذلك الحادث الأليم .. صديقتها مغشي عليها والدماء تغطي ثيابها وجسدها الممتلىء بالكدمات والجروح، تذكرت كيف نُقلت سريعًا إلى هذا المشفى وهي في أسوأ حال، كانت بحاجة لنقل دم .. فقد نزفت كثيرًا جدًا، تذكرت كيف وقفت عاجزة عن مساعدتها بعد أن أجرت اختبار فحص لدمها أكد عدم

مطابقتها لنفس الفصيلة لأن الفصيلة المطلوبة نادرة، تذكرت كيف تُركت تحتضر، تذكرت كيف لم يجدوا وقتها من يمنحها بعضًا من دمه، تذكرت قرارًا حاسمًا اتخذته بعد أن فقدت أغلى صديقاتها بسبب نقص أكياس دم! فقد قررت يومها أن ترتاد هذا المشفى دومًا للتبرع بدمها لمن يحتاجه، ربما لم تستطع بدمها إنقاذ صديقتها من الموت، لكن ربما تستطيع أن تنقذ آخرين، ربما تستطيع أن تمنحهم الحياة!

هُم .. أحيانًا ودَائمًا!

يحدث أحيانًا

يحـدث أحيانـا أن يتغـيروا .. أن ينسـونا، في حـين أن ذاكرتنـا تحتضـن كل تفصيلـة عنهـم، يحـدث أحيانـا أن نلتقيهـم مصادفـة فنجدهـم لا يعرفوننـــا، يواصلـــون المســير وكأنهـــم نســـوا ملامحنـــا.. أو ربمـــا تناسـوها! حتـى إنهـم لم يتكبـدون عنـاء تذكرنـا، ولِـمَ يفعلـون، وقـد أصبـح وجودنـا في حياتهـم كأن لم يكـن! وهـم بـكل هـذا سـعداء، يحـدث أن نتـألم كثـيرًا لأوقـات أُرْهِقنـا إنتظـارًا وحزنًـا لتأخّرهـم .. ولذكريـات حفـرت فينـا ولم ننسـها لحظـة، يحـدث أن نُصفـعَ غـدرًا فيصيبنـا وجـع الخيبـة بهـم، يحـدث أن نصـاب بفقـدان ثقـة في كل مـن حولنـا .. حتـى في أنفسـنا، يحـدث دائمًـا أن نتظاهـر بكرهنـا لهـم، وبأنهـم أصبحـوا في أعيننـا لا شيء، وهـم في الحقيقـة .. كل شيء!

تَعجُ بأصواتها شوارعُ المدينة .. تلوثُ الأكسجينَ ليلًا وصَباحًا ولا تملْ!

السيارات أسرارا!

ترتـدي جينـزًا كحـليّ اللـون، وكنـزةً بيضـاء مـن الصـوف الناعـم، ينسـاب شـعرها ببعـثرة متوتـرة عـلى كتفيهـا، تنقـل بصرهـا بـين أوراقٍ مفرقـة عـلى الكـرسي المجـاور لهـا .. والشـارع المزدحـم بسـياراتٍ مسـتعجلة مثلهـا، وحافـلات مـدارس .. تعـج بصغـار نائمين مـن فـرط النعـاس والـبرد الصباحـي المزعـج! ضغطـت عـلى مزمـار السـيارة بقـوة .. تـوووووت! تأففـت ثـم تابعـت اسـتغلال وقتهـا المهـدر في الانتظـار، لتدفـن عينيهـا في أوراق لم تسـتطع إنهاءهـا كلهـا بالأمـس، تقـف بجـوار سـيارتها المستسـلمة للزحـام المعتـاد سـيارة أخـرى يحـرّك مقودهـا رجـل أربعينـي، يرتـدي قميصًـا أبيـض كالثلـج الـذي أغـرق الطرقـات مسـاء الليلـة الفائتـة، تغطـي كتفيـه بدلـة سـوداء تتناسـب مـع ربطـة عنـق بنفـس اللـون تحيـط رقبتـه .. فتمنحـه مظهـرًا رسـميًا، يمسـك براحـة مقـود السـيارة بينـما هاتفـه الجـوال يـدفئ يـده الأخـرى، يتنقـل ببـصره بـين المسـافات الصغـيرة التـي تركتهـا السـيارات أمامـه، وحـين يعجـز عـن رؤيـة سـبب الزحـام يرجـع ببـصره مـرة أخـرى إلى هاتفـه .. ليقـرأ جـدول أعمالـه المسـجل عليـه، والـذي يتـم تحديثـه يوميًـا كل صبـاح،

تقف أمام سيارته القابعة بهدوء وسط الضجيج سيارة أخرى، تمسك بمقودها سيدة يسكن وجهها غضبُ شديد، تنقل بصرها بين السيارات المتلاصقة .. وبين صغيرتها النائمة على الأريكة الخلفية، تحتضن حقيبتها المدرسية بهدوء، وكأنها تحتضن دميتها الصغيرة، تردد الأم بانزعاج ..» كل صباحٍ نفسٌ القصة .. متى سأرتاح من ذلك الكابوس!!"، على الجهة اليسرى لسيارتها .. تقف حافلة نقل صغيرة، تحمل بداخلها أناسًا يكرهون القيادة ففضلوا ركوب حافلة أجرة، وآخرين لا تكفي النقود في جيوبهم ثمن سيارة! فأصبحت هذه الحافلة وسيلة نقلهم المعتادة منذ ولادتهم وربما تستمر إلى أن يموتوا، دخان سجائر ينبعث بجشع للهواء من نافذة السائق، وكأنه يبحث عن أكسجين ليتنفس، أو ليهرب لسيارة أكثر راحة من تلك الحافلة المزدحمة بالهموم وتثاؤبات الصباح!

جميعُ المناسباتِ أصبَحت حزينَة!

حتى طُردت الأرض!

تتشـابه صباحـات العيـد كثـيرًا، كل عيـدٍ أصبـح تكـرارًا لغـيره، وكأنهـم يأتـون لأداء الواجـب لا أكـثر! لم أعـد أرى أطفـالًا تغمرهـم السـعادة، لم أعـد أرى البالونـات بألوانهـا المبهجـة .. تسـكن أياديهـم الصغـيرة، أصبحـت أراهـا تحلـق دومًـا في السـماوات .. بعيـدًا عـن هـذه الأرض، لم يعـد هنـاك مـا يسـتحق أن نفـرح .. أن نضحـك .. أن نحتفـل ونطفـيء الشـموع بأمنياتنـا لأجلـه، وكأن الأرض التـي نسـكنها منـذ دهـورٍ طويلـة .. أصبحـت منبـوذة بـين كواكـب المجموعـة الشمسـية! وكأن الفـرح حُـرِّمَ عليهـا، لأنهـا أصبحـت تتاجـر في الحـزن، أو ربمـا لأنهـا امتهنـت الـشر مؤخـرًا، فأثـارت بذلـك غضـب الكـون عليهـا .. وخرجـت مـن رحمتـه!

والمطر تُغرقينَه بجمالكِ أكثر!

ابنتي من القدر

خضراء جميلة.. كالخير والمستقبل كما أراه أحيانًا، شامخة صابرة .. بريئة ونقية جدًا، صغيرة قلبي، صديقتي في الوجع، رفيقة قصصي كلها كانت .. وما زالت، تصبح أحيانًا كل قصصي هي، ودائمًا هي إخضرار أحلامي حين ألقي بها بأصابعي على أشواكها الناعمة! حبيبة ذكرياتي، جميلة قدري، تخبئني دومًا داخلها .. وتكبر بفعل طهر المطر ورائحة الشمس والطين الرطب، تنافس جمال البنفسج في لمعان حبيبات المطر عليها، وتتجاوز لذة التوت الأحمر .. الواصل للنضج توًا، (روزتي) كما أسمتها الظروف، وكما عشقتها دومًا ولا زلت!

لي في جُعبتِها رسائل لم تصلنِي بَعد!

الزاجل

الحـمام .. طيـور السـحب الدائمـة، مرسـال الوصـل والفصـل، تهـدل لتجمـع أخواتهـا في أسراب لا تنتهـي، أسراب تحلّـق في آفـاق الأفـق البعيـدة ولا تمـلّ، تدفـن وجههـا في الغيـوم، وتبـذر بمناقيرهـا الأحـلام في أكـف السـماء .. لتقـترب أكـثر مـن محققهـا، تطلـب الشـفاعة والرضـا .. وترحـل، تجـوب الكـون وأبراجًـا صنعـت لتكون محبسـها.. أو محطـات انتظـار لرفقتهـا، تغـزو الصبـاح .. عـلى جـرس المدرسـة تسـتقر، تهـدل وتهـدل لتضـع بيضـة وأخـرى تتلوهـا عـلى أعشـاش الـدفء، تحلـق بعدهـا غـير مكترثـة بمـا سـقط منهـا، تاركـة الذكـور خلفهـا حراسًـا لأفـرخ لم تـر النـور بعـد، تحلّـق مجـددًا لتبحـث عـن رزقهـا وقـوت يومهـا، ولتجمـع فتـات أمـل سـتطعم بـه صغارهـا يومًـا، حـين يصيحـون جائعـين!

من يُصادق قلمًا طوالَ حياتِه لا يموتْ!

مدمنو القلم

الذيـن يعاقـرون الكتابـة.. لا يعرفـون وطنًـا آخـر سـوى حـدود الورقـة، لا يعرفـون نشـيدًا وطنيًـا سـوى وقـع القلـم عليها، يسـكبون الحكايـات بـين حـرف بدايـة ونقطـة تنهـي معانـاة .. أو تبـذر أمـلًا، هـؤلاء .. لا يعرفـون رفاقًـا سـوى ألـوان الحـبر الكثـيرة، لا ينتظـرون سـوى زاويـة انفـراد مـع أنفسـهم وفنجـان بنـي محتـواه، يغرقـون فيـه أذهانهـم وربمـا مشـاعرهم أيضًـا، الذيـن يعاقـرون الكتابـة .. لا ينامـون إلا مسـتيقظين! مغمـضي الأعـين.. مُشرِعـي عقولَهـم لفكـرة جديـدة، هـم أنـاس لا يمتهنـون سـوى تجسـيد المشـاعر .. وخلـق حيـوات جديـدة مختلفـة تمامًاعـن تلـك القابعـين بهـا، يُجيـدون العـزف والغنـاء والرقـص وحتـى ترتيـل الآيـات ولكـن بطريقـة مختلفـة، يسـتهلكون أعمارهـم بحثًـا عـن فرصـة .. أو عـن بـذرة صالحـة للنمـو لم يحـن أوان موتهـا بعـد!

”وَأَتِمُوا الحَجَ وَالعُمْرَةَ لله“

إلى الله

يأتـون محمّلـين بهمـومٍ أثقـل مـن حقائـب أمتعتهـم، يدّخـرون أدعيتهـم وأحلامهـم للبـوح بهـا هنـاك .. حيـث كل الأدعيـة مُجابـة وكل الأحـلام مُحققـة، يمتنعـون عـن الشـجار والنقـاش الحـاد والثرثـرة بـلا جـدوى .. رغبـة في أن تُجـاب أمانيهـم، وتكتـب زيارتهم في صحيفـة أعمالهـم مقبولـة، يتدثـرون بالبيـاض .. رجـالًا تلبيـةً للفـرض، ونسـاءً رغبـةً في طُهـر أكـثر! يُحرِمـون .. يكـبّرون ويهلِلـون، يطوفـون سـبعًا ويسـعون بـين صفـا ومـروة، يرمـون الشـيطان بجمـرات معـدودة اتقـاءً لـشرّه وتلبيـةً لمناسـك مفروضـة، يصعـدون ويبقـون للغـروب، يدعـون حتـى تجـفّ حلوقهـم، تتعطّـر أنفاسـهم بالتوبـة، وتغتسـل وجوههـم بدمـوعٍ طلبًـا للرحمـة والمغفـرة والقبـول، يحلِقـون ويقـصرون ويضحـون اقتـداءً بسـنّة، يصلـون العيـد بـين حشـود لا تعـرف قبلـةً سـوى البيـت العتيـق، يباركـون عيـدًا، ويصافحـون أناسًـا لم تجمعهـم بهـم سـوى أيـامٍ معـدودات .. ومـكان حُـرِّمَ فيـه القتـال، ووقـت أجيبـت فيـه الدعـوات .. وجُـبرت فيـه القلـوب، وتطهـرت فيـه الأرواح والأجسـاد، فأصبحـت كيـوم ولـدت وأنقـى!

تَبكيه دومًا وَلم تَنسه!

فلٌّ أبيض

داعبت أوراق الفلّ الناعمة بيدها اليسرى .. بينما اليد الأخرى كانت تمنحه الحياة، شردت بذهنها بعيدًا، حيث الوطن.. حيث حدائق الفل والريحان، تذكرت صديقات مدرستها، تذكرت منزلها وجيرانها، تذكرت رائحة الليل المعبّق بالتوت الأحمر في صيف لا يعرف الرحمة! جالت بذاكرتها على الأبواب المغلقة لسنوات طوال، أبواب أحكمت إغلاقها يوما وهربت! أبواب لم تشأ يومًا أن تفتحها مجددًا لتبكي وطنًا هجرته ورحلت، ابتسمت حين تذكرت عصافير نافذتها الصغيرة، كيف كانوا يحبّونها، ويفضّلون مجاورتها دومًا، والقطة البيضاء العسلية، كيف كانت تغفو تحت شجرة السدر الكبيرة، لم تكن تخافها أبدًا، بل كانت تموء عند رؤيتها .. لعلّها تقدّم لها بعض الفتات، تذكرت غرفتها التي احتضنت ذكرياتها لأكثر من عشر سنوات ولم تضجر يومًا أو تمل، تلك الغرفة التي احتفظت بأسرارها وقبّلت فرحتها وتصدعت جدرانها لحزنها! غرفتها التي شهدت أصعب الليالي وأجملها، لم تشعر بهذا الكم من الوجع قبلاً، فهي تفتقد وطناً ليست منه .. لكنها عشقته، وحين غادرته دفنت روحها فيه ورحلت!

ريشةُ رسمٍ .. وبالتَة ألوان!

ألوان زيتية

خطَّت بريشتها خطًّا أسودَ .. تلته خطوط أخرى أصغر، رفعت يدها من لوحةٍ بالألوان الزيتية، كانت لشاب عشريني .. ذي ملامح هادئة وجميلة، نهضت من كرسيها ورجعت بظهرها للخلف مسافة قدمين، جالت بعينيها فيما أنجزته يداها التي تلطّخت بألوان جافة، وأخرى ما زالت رطبة. تناثرت بقع صغيرة على أطراف إصبعيها السبابة والوسطى، دارت يمينًا ويسارًا لتتأكد من عدم وجود أخطاء منسيّة! وحيث انتهت واطمأنّت لروعة لوحتها .. ابتسمت بارتياح، ورددت بصوت خافت وكأنها تخاطب موضوع اللوحة «ستكون أجمل ما سأعرضه هناك". بهدوء أزاحتها عن الحامل الخشبي ووضعتها إلى جانب لوحاتٍ أخرى ترتسم على بياضها صورٌ لمدن أوروبية .. وأشخاصٌ احتلوا قلبها، وآخرين احتلوا عينيها وروحها بجمال قسماتهم فقرّرت رسمهم .. وصورٌ أخرى لحالاتٍ مزاجية عصفت بها في أوقاتٍ متفرقة، ألقت عليهم قطعة قماشٍ كبيرة، سترت جمالهم إلى أن يحين موعد عرضهم، واستلقت على الأرض تغزو بعينيها سقف المرسم الذي أصبحت تقضي فيه وقتًا أكثر من أي مكانٍ آخر، أغمضت عينيها وبدأ تنفسها ينتظم .. حتى استسلمت لنومٍ هربت منه لثلاثة أيام سابقة بفناجين قهوة لا تنتهي .. فقط لتنجز آخر لوحة في معرضها الثالث!

تائهةٌ بينَ الماضِي والحاضِر!

رذاذ ذكريات

أدارت العجلات بيدها .. فتحرك الكرسيّ وبدأ السير، تابعت العصافير تتطاير في السماء فتختفي عن الأنظار .. كذكرياتها تمامًا، توقفت عيناها على عجوزٍ يجلس مع رجل أربعيني على أحد مقاعد الحديقة، ركزت في قسمات الرجل، في تعبيرات وجهه .. وحركات يديه وهي تربّت كتف العجوز بحنان بالغ، شعرت بالوحدة والضياع .. تمنّت لو أن أحدًا يزورها من أقاربها أو معارفها أو حتى أبنائها، يجالسونها ويطمئنون عليها، يسردون لها تفاصيل حياتهم .. يأخذون رأيها في قراراتهم ومستقبلهم، فجأة .. لامست كتفها يدٌ ناعمة .. فتنبهت وأدارت وجهها نحو صاحبته، كانت إحدى الممرضات، تبسمت الممرضة وألقت عليها تحية صباحية معتادة وقالت «هناك من ينتظرك في غرفتك يا جدّتي". لم تمهلها لتندهش أو لتفكر، سرعان ما سحبت الكرسي المتحرك نحو غرفتها، وعند دخولها فوجئت برجل أنيق يرحب بها ويقبل يدها ورأسها ويقول «كيف حالكِ يا أمي .. اشتقت إليك منذ الأسبوع الفائت". ضاعت ملامحها وبهت وجهها ورددت بصوت تائه «من أنت؟"، أجابها الرجل بجملة

يردّدهـا كل أسبوع «أنـا ابنـك الوحيـد يـا أمـي آتيـك كل أسـبوع لأطمـئن عليـكِ وعـلى أخبـارك .. وأسرد عليـكِ أهـم الأحـداث في حيـاتي ولأقـرأ لـكِ الجرائـد كـما تحبّـين"، ابتسـمت العجـوز ابتسـامة باهتــة.. وهــزّت رأســها في استســلام، تركتــه يدفعهــا إلى داخــل الغرفـة وليشـير للممرضـة بالخـروج، الآن فقـط تذكـرت! الزهايمـر غـزا عقلهـا بشـدة، ولم تعـد تـدرك شـيئًا!

دائمًا هُناكَ... أملْ!

حفل توقيع

وقفـت أمـام المـرآة، بثيـاب أنيقـة، ووجـه تعتليـه ابتسـامة رضـا كبـيرة، وعينـين تلمعـان فرحًـا وسـعادة، فهـا هـو حلمهـا الـذي رسـمته لأربـع سـنواتٍ في خيالهـا .. يتحقـق، كتابهـا الأول الـذي خطّـت فيـه أحلامهـا .. أحزانهـا.. قصصهـا، ودفنـت فيـه تفاصيلها الصغـيرة، هـا هـو اليـوم سـيرى النـور، سـيصافح أكـف النـاس، سـيعانق أرواحهـم، فربمـا وجـدوا فيـه بعضًـا منهـم! تذكـرت كـم عانـت كثـيرًا لأجـل هـذا اليـوم، تذكـرت يـوم اتّخـذت قـرارًا شـجاعًا طالمـا تمنّتـه داخلهـا، لكنهـا لم تكـن تملـك القـوة لـلإصرار عليـه، تذكـرت أول كلمـة كتبتهـا في هـذا الكتـاب، أول فكـرة .. أول مقالـة، تذكـرت كـم انتظـرت موافقـة دار النـشر عـلى إصـداره، تذكـرت قفـزات الفـرح في قلبهـا حـين علمـت بالموافقـة .. حـين ذهبـت للتعاقـد معهـم، تذكـرت مـن وقفـوا بجانبهـا .. وأمدّوهـا بالأمـل لتكمـل مشـوارها لنهايتـه، وتذكـرت أيضًـا كـم مـن توبيخـات وتأنيبـات سـمعتها .. لتتوقـف عـن الكتابـة، ولتمـزق حلمهـا وترميـه في أقـرب سـلة مهمـلات، لكـن مـا زادهـا ذلـك إلا قـوة، ومـا انتقـص مـن عزيمتهـا شيء، مـدت يدهـا لتمسـح دمعتـي فـرح تسـللتا مـن عينيهـا دون قصـد، تأملـت وجههـا في المـرآة .. ابتسـمت، وهمسـت لنفسـها .. اليـوم هـو حفـل توقيـع كتـابي الأول، الجميـع ينتظـرني، اليـوم فقـط أصبحـت كاتبـة حقًـا!

مترامية على جنبات الطريق

مغتالة.. ممزقة الأوصال

تبكي طهرا وأملًا كان أكسجينها يوما

تلك أمنياتي أنا!

إغماض

هنا.. كان بعض مني

هنا.. كانت أحلامي، وتفاصيل حياتي

هنا.. كانت ضحكاتي، واحتجاجاتي

هنا.. كنت أنا!

أستودعكم ما تساقط مني منذ صفحات.

بتكتب رواية أو قصص أو مقال ..
بالفصحى , بالعامية أو حتى بالأنجليزى ..
بتحب تكتب , أو تعرف حد بيحب يكتب , كلمنا ..
هنعمل كل اللى نقدر عليه عشان نساعدك تحقق حلمك وتكون كاتب معروف ..
لأن في كيان , للإبداع مكان ..

اتصل بينا على :
محمول: 01005248794 – 01001872290 – 01000405450
أرضي: 0235688678
www.kayanpublishing.com

وابعتلنا على :
info@kayanpublishing.com
kayanpub@gmail.com

وتابعنا :

kayanpublishing kayan.publish

kayanpubishing kayan_publishing